الجمعية الخلدونية بتونس

معهد البحوث الإسلامية

دراسات الاستاذ

محمد الفاضل ابن عاشور

فلسطين الوطن القومي للعرب

١٣٦٧ - ١٩٤٨

نشر
علي الجندوبي

(٤-٥-٦) ثمن النسخة ٥٠ ف



مقدمة

يسرنا اليوم - بعد اصدارنا نشرتنا الاولى لسلسلة مسامرات معهد البحوث الاسلامية والتي ستعقبها بحول الله سلسلة من النشرات العلمية الغزيرة الفائدة التي هي من الانتاج التونسي ومن فكر جبار لم يرزق الشمال الافريقي مثله في ميدان النبوغ الثقافي والتفكير الصحيح والانشاء البديع ان نتقدم بمزيد الشكر والامتنان الى كل المؤسسات والمعاهد والاشخاص الذين قدروا عملنا العلمي والثقافي وامدونا بمساعدتهم الثمينة على اتمام عملنا الفردي

ونخص بالذكر مشيخة الجامعة الزيتونية وادارة المعارف والخلدونية والشبان المسلمين وكافة الصحف بالشمال الافريقي والحجرتين التجارية والفلاحية وجمعية العلماء الجزايريين وجمعية الوكلاء وجمعية الكشافة الاسلامية التونسية وقدماء الصادقية والمؤسسات التمثيلية وجميع الهيئات العلمية بصفاقس وسوسة والمهدية والقيروان وباجه وكافة الاخوان من رجال التفكير وغيرهم آملين ان نكون عند حسن ظن الجميع في مستقبل نشرياتنا .

تونس - ١٨-٨-٦٧ ٢٥-٦-٤٨

علي الجندوبي

فلسطين الوطن القومي للعرب ١٧ - ١٢ - ١٩٤٧

الانتداب البريطاني منشأ المشكلة الصهيونية (الحلقة ٣)

حضرات الاساتذة ايها السادة .

لقد غادرنا القضية الفلسطينية في المحاضرات السالفة وما هي بقضية صهيونية ولكنها قضية ارض تعاقبت عليها الامم والاجيال واختلفت عليها ظروف التاريخ وتقلبات الزمن كغيرها من الاراضي ولحقتها احكام ناسخ بعضها لبعض ومرتكزة على نفس القوات التي يرتكز عليها كل حكم من هاتيك الاحكام المتعاقبة ورأينا هاته الارض منقسمة بين كنعان والعمالقة ثم بين اليهود والفلسطينيين ثم توحدت لليهود ثم الاشوريين والفرس واليونان والرومان ثم تخلصت لجنسها الاصيل الجنس العربي .

ورأينا ان فكرة صهيون (العودة الى فلسطين) لم تكن موجودة بعد الجلاء النهائي سنة ٧٠ ميلادية ، ولم يبق على وجه الارض من يتطالع اليها باعتبارها ارضا مقدسة وحرما دينيا الا العالم الاسلامي باعتبارها الحرم الثالث والقبلة الاولى والعالم المسيحي باعتبارها مدفن المسيح ومولده . وهذان الاعتباران هما الذان كانا مدار الحروب الصليبية الطويلة المدى والتي لم يكن لليهود فيها ما يدل على تعلقهم بفلسطين) بل كان اليهود مندمجين في العالمين المتقابلين ولا ينظرون الى تلك الحروب الا نظر المرابي الذي ينتهز الفرص لبيع سلعه وترويج تجارته .

اما باعتبار القضية الصهيونية فان تاريخ فلسطين قد دخل عصرا جديدا هو عصر حديث جدا بالنسبة لاطوارها السالفة من حيث اعتبارها في منشأ الفكرة الجديدة واتصالها بالسياسة العالمية واتخاذها ذريعة من طرف الغير لاغراض شتى . ولقد كان منشؤها اول الامر بعيدا عن السياسة العالمية مستقلا عن مجر

السياسة الانقليزية . فقد كان منشأ الفكرة ناتجا عن الارهاقات والاضطهادات التي لحقت اليهود باروبا الشرقية خصوصا تحت سيطرة الروس . وكان صدى هذه الارهاقات والاضطهادات يجد رنة وتاييدا ورجعا باروبا الوسطى وخصوصا بالمانيا والنمسا . وازاء الشعور بهذا الاضطهاد فكر اليهود في الخلاص منه وهنالك ولدت فكرة الوطن القومي . كان الشعور الجديد في اواخر القرن الماضي (١٩) وكان كتاب الدولة اليهودية الذي اصدره (هرزل) يعتبر المنهج الاساسي والدستور الذي يسار عليه لتحقيق فكرة الوطن القومي . والى هذا الحد لم يكن لهذه الفكرة اتصال بسياسة الانقلبزية بل كانت فكرة لها اتجاه جديد تتطب الحل كسائر المشاكل الاجتماعية والسياسية واخذ مفكرو اليهود يفترضون الحلول لتحقيق انشاء الوطن القومي فذهبت جماعة بزعامة اللورد روتشيلد الى ان فلسطين هي المكان المتعين ليكون ملجأ الخلاص . وذهبت جماعة اخرى تحت قيادة (حيرش) الى نبذ فكرة فلسطين والبحث عن رقعة اخرى من بقاع الارض وكانت هاته الجماعة تؤيد دعواها : بان « اصل التفكير في الوطن القومي انما هو البعد عن الاضطهاد والارهاق الاوروبي ونحن اذا عمدنا الى اعتبار فلسطين هي الوطن القومي فانما نستعيض اضطهادا باضطهاد وان اخواننا الذين عاشوا القرون العديدة تحت ظل الاسلام سعداء آمنين (بينما كانت اوروبا تنيلنا العذاب والتنكيل) فاننا سنجلب سخط العالم الاسلامي باسره وفي ذلك ما فيه من الوقوع فيما نريد الخروج منه »

وكان الراي العام الانقليزي يتصل بهاته الاتجاهات اليهودية الحديثة ويسمع تلك الدعاوي ولكن الساسة الانقليز او بعبارة اخرى السياسة الانقليزية ما كانت لتتأثر بما يروج في الراي العام او ما تبديه الصحافة والنشريات) لان هاته السياسة متأثرة بامر جوهري تقليدي لا تغدوه يحافظ عليه رجالها مهما اختلفت مشاربهم ونزعاتهم :

وهكذا لم تكن القضية الصهيونية في اواخر القرن الماضي واوائل القرن الحاضر متصلة بروح السياسة الانقليزية وان كانت عائشة على حاشيتها . اما مبدأ الارتباط الجوهري بينهما فكان راجعا الى تصريح اللورد بلفور (١٩١٧) وهذا التصريح لم يكن في اصله الا مكتوبا شخصيا من بلفور الى روتشيلد . وكانت صبغة وعد بلفور شخصية كما قلنا ولا مدى له في الانتشار اولا الا مدى انتشار الاسرار السياسية وكأن هذا الوعد لم يرد منه خدمة الصهيونية ولكن الغاية الحقيقية منه هي حماية مصلحة الانقليز وسيادتهم العالمية من خطر عظيم محدق بها ومهدد لها ومنذر بسقوطها . كان هذا الخطر يلوح من وراء نهضة الشعب الالماني واندفاعه المهول في التجديد الصناعي والتعزيز الحربي خصوصا البحري منه . فكان الوعد ثمنا مسبقا على ايقاد نار الثورة الداخلية بالمانيا وادخال الشلل الاجتماعي بها حتى يفضي ذلك الى انخرام سبل التموين وفشل ما وراء واجهة القتال .

وكان اخوف ما يخافه الانقليز (زمن الحرب العالمية الاولى) بعد ان تحققوا من الانتصار بما ادخلته اميركا من رجحان كفة الحلفاء هو ان تتأخر المانيا في الانهزام وتطول مدة الكفاح وهذا الطول يدخل شكا على انتظام التموين عند الحلفاء واطراد الثبات في القتال - فاذا ما تمكن اليهود من اعلان الثورة الداخلية بالمانيا فان في هذا الان ما يقرب هزيمة الالمان بسرعة اشد واضمن - ولاجل هذا كان يعتبر ساسة العالم ان وعد بلفور كان بمنزلة التسبقة على الرشوة للعنصر اليهودي لقيامه بالثورة الداخلية التي تعتبر وسيلة اخطر في سرعة الانهزام الالماني من دخول امريكا للحرب .

كان صدور هذا الوعد في ٢ نوفمبر سنة ١٩١٧ وابتدأ الوعد على اساس المساومة حتى تقرر وجوب الثورة وابتدأت الثورة بالفعل في اواخر مارس سنة ١٩١٨ ولم يكن مجنى هذا الوعد واقفا عند حد النتيجة الاستعجالية ولكنه كان يتعداها الى غرض ابعد هو قضية البترول .

فمنذ الحروب العالمية الاولى اتجهت السياسة الانقليزية الى حقيقة اقتصادية خطيرة ذات شان فعال في الحروب - فقد ثبت ان البترول اصبح المادة الاولى في العالم على الاطلاق وان السيادة الانقليزية ينبغي لها لاجل الاحتفاظ بمركزها ان تضع يدها على شيء كثير من منابع الثروة العصرية يستحيل تحقيقه اذا كانت تحيط بمنابعه سيادة قومية لمناطق هاتيك المنابع . وازاء هذه التقديرات قرر الانقليز ان تكون مناطق البترول العراقية (الموصل وكركوك) غنما للانقليز بعد الحرب بلا نزاع . فاذا كانت البلاد التي توجهت اليها الانظار الانقليزية هي بلاد العراق فانه كان مقررا عندهم ان لا يمكن ان تخرج انقلترا من الحرب الا على اساس بقائها هناك وضمان استثمارها لمادة البترول .

كان هذا في وقت وجدت فيه انقلترا اسباب تمكنها بالشرق الاوسط والادنى فوصلت يدها بالسيادة العربية واخذت تصانع حركة الثورة العربية وفي سنة ١٩١٦ كان دخول الجيوش البريطانية الى الشام والعراق بعنوان المشاركة في تحرير العرب ولكن هذا الدخول يستطيع ان يتطور حتى يصل الى غاية الانقليز الاصلية . وكانت السياسة الانقليزية تامل ان لا تصل الحرب الى النهاية حتى يقع احتلال الشرق الاوسط والادنى بالجيوش الحليفة وخصوصا جيوش دولتين منهما هما الدولتان الاستعماريتان اللتان تمكن المفاهمة والمذاكرة بينهما بسهولة وهما فرنسا وانقلترا ولكن سياسة الانقليز كانت تقوم دائما على الاحتياط من جانب الصديق فينبغي ان يكون اكثر من الاحتياط من جانب العدو . ولهذا ينبغي البدار الى تخطيط المناطق الاحتلالية لكل من الدولتين .

لقد صدر وعد بلفور في هذا الجو ووفى اليهود بما دفع ذلك الوعد ثمنا له وهو ثورة المانيا الداخلية وبقي تحقيق الامل الانقليزي في مناطق البترول معلقا على احتلالهم للشمال الشرقي العراق . ولكن هاته المناطق لا بد لها من منفذ بحري

يوصلها بالبحر الابيض المتوسط . ومن يلقي نظرة على الخريطة الجغرافية يتبين له الامر بسهولة وهو ان هذا المنفذ لا يكون الا من طريق شرقي الاردن وفلسطين وبينما كان الانقليز يدرسون هذه البرامج في زواياهم واسرارهم كانت البلاد العربيه محتلة باشتراك من جيوش الانقليز والفرنسيس . والتفت الانقليز واذا النقطة الهامة (بلادا لموصل منطقة البترول) تحتلها الجيوش الفرنسية . فلم ير بدا من الدخول مع الاحلاف الفرنسيس في المفاوضات والمساومات حتى يخرجوا من هناك خروج الصديق من دار الصديق . وانتهجت المفاوضات بمعاهدة سرية حررت قبل صدور وعد بلفور بالقاهرة سنة ١٩١٦ وهي معاهدة سايكس بيكو . وكانت المعاهدة تنص على ان مناطق الاحتلال بالشرق الاوسط والادنى تقسم ما بين الانقليز والفرنسيين على مقتضى برنامج جغرافي خاص حيث جعلوا خريطة ملونة ذات ارقام والوان) وهي ترمي اجماليا الى جعل مصلحة البترول في مأمن من الخطر الفرنسي حين اعطت جميع بلاد العراق وضفتي الاردن الى السلط الانقليزية وكانت منطقة فلسطين بالخريطة الملونة تحمل عدد ٤ اربعة ولونا اسمر . وكانت المادة الثالثة من معاهدة سايكس بيكو تنص على ان هاته المنطقة ينبغي ان تتولاها ادارة دولية بعين شكلها بعد موافقة روسيا والحلفاء وشريف مكة .

ثم زادت المعاهدة توثق ضمان مصالح الانقليز بما اقتضته المادة الرابعة من ضم حيفا وعكا الى فلسطين وما اقتضته المادة السابعة من تمكين بريطانيا من حق انشاء خط حديدي بين العراق ومرسى حيفا تستعمله فيما تريد حتى نقل الجنود

وكان اليهود في هاته الاثناء يروجون دعاياتهم في ان قضية رجوع اليهود الى فلسطين اصبحت محققة بعد صدور وعد بلفور ولكن اذا استمرت فلسطين بعد هذا الوعد تحت الحكم الاسلامي فان من شانه ان يجعل اليهود عرضة لصدمات عنيفة تجعل جميع يهود الشرق الاسلامي تحت التنكيل والعذاب كما كان الحال بالنسبة

ليهود اوروبا الشرقية وينبغي لليهود (ان كانوا يؤملون تحقيق هدفهم باستقرارهم بالارض المقدسة مكتنفين بالعزة والكرامة) فما عليهم الا ان تجعل المنطقة الفلسطينية تحت نفوذ اجنبي لا يخيف اليهود . ولا ينبغي ان تكون السيادة اسلامية طبعا ولا مسيحية منغصة . فلا يمكن ان تكون فرنسا لانها حامية الكاتوليك ولا يمكن ان تكون روسيا التي تعتبر في ذلك الزمن حامية الارتودكس والارتودكس يرون انفسهم اولى المذاهب المسيحية بحماية المزارات النصرانية المقدسة ولم يكد ينجو اليهود من روسيا القيصرية حتى وقعوا في قبضتها من جديد اما فرنسا فان عداءها لليهود كان متاصلا فيها منذ الزمن القديم واما الانقليز صاحب المذهب المتسامح المذهب الانجليكاني البروتستاني . فاذا رضي اليهود بسيادة اجنبية فلا بد من ان يكون للانقليز الحظ الاكبر فيها خصوصا وانهم اصحاب الوعد وبه يستطيعون حمل الحلفاء على احترامه وتقديره وصاحب الوعد شانه ان يكون اكثر اخلاصا في تنفيذه سواء من تلقاء نفسه او التزاما من غيره وكانت الفكرة منذ اعلان الهدنة سنة ١٩١٨ انه لا بد من اعانة انقلترا في كل مشكلة اوروبية وان يعمل اليهود في شتى الميادين على نية انه لا يحيي مؤتمر الصلح حتى تكون فلسطين تحت النفوذ الانقليزي .

ولم تكد تنتهي الحرب حتى اشرأبت الاعناق الى مؤتمرات الصلح واستعد الناس لاستقبال احلام الرئيس ولسن ولم يكد يصل الامر الى هذه الغاية حتى اصبح ذلك الوعد الشخصي له صبغة الوعود الرسمية او المعاهدات والالتزامات الدولية واصبحت جميع التعاليق المتعلقة بالشرق الادنى تشير الى هذا الوعد وكانه وضعية من وضعيات السلم العالمي .

وكان الحلفاء ينظرون الى محاولة الانقليز الاستغلالية شزرا . وقد علمنا سابقا ان غير الانقليز ليس من شانه ان يكون له على قضية اليهود عطف وليس من وراء حركتهم مطمع في الاستقلال . وكان من اثر هذا ان الجندي الفرنسي المتعصب يرى نفسه ان خرج

من دفاع عظيم وتضحية بالاموال والرجال في سبيل تحقيق قضية صهيون . ولقد عنونت على اختلاف الاتجاهين مظاهرات الابتهاج اليهودية بعد اعلان الهدنة حين قرر اليهود ان يرفعوا شريطا به اعلام الحلفاء معها العلم الصهيوني فكان هذا موجبا لحوادث جرت بين الجيش الفرنسي واليهود بباريس (ولعل الكثير من الحاضرين بهاته القاعة يتذكرون صدى ذلك بتونس) فكان هذا الحادث برهانا يزيد العالم السياسي يقينا في ان الحرب اذا انتهت وبقي الشرق الادنى محتلا من طرف الانقليز والفرنسيس معا فمن المستحيل ان حليفا آخر يصح له (وهو حليف ظاهري) الاقدام على مزاحمة اخوانهم الحلفاء فتنقلب الحرب بينهم بعد ان كانوا ويقاتلون عدا مشتركا ، فمن الضروري اذن ان يبقى الشرق الادنى بين الحليفتين ولكن على طريقة لا يمكن ان تكون موجبة الخرق في صفوف الحلفاء

ولكن لم تكد تعلن هذه الرغبة (من ساسة العالم اذ ذاك) حتى تقدمت انقلترا تقول : ان القضية منفصلة بيننا منذ زمن وانه وقع الاحتياط لمثل هذا منذ سنة (١٩١٦) وتم الاتفاق على طريقة تبادل المناطق بصورة لا تغضب احدا . وبذلك اعلن عن مولود سياسي جديد (معاهدة سايكس بيكو السرية) وامام هذا الامر راى الحلفاء تاييد هذه المعاهدة نظرا للتراضي من الطرفين . اما الروسيا التي كانت تعتبر المزاحم الثالث والتي تدعي اولويتها بحماية الحرم الديني فانها ابتعدت يومئذ عن هذا بسبب اضمحلال القيصرية وانتصاب الجمهورية السوفياتية . وهكذا خلا الجو للطرفين ينفذان المعاهدة بمفردهما . ولكن الانقليز لا يجهلون ان للفرنسيين عواطف دينية متعصبة ومتحكمة في السياسة العليا الفرنسية وانه اذا كان من المتفق عليه ان مناطق بترول العراق تكون تحت النفوذ الانقليزي وان فلسطين اذا ما اعلن عن سلطة الانقليز عليها فان هذا قد يؤثر على النعرة الدينية الفرنسية فتسرع الى احتلال فلسطين وتزحف عليها من

الموصل الذي يرابط به الجيش الفرنسي مع الجيش الانقليزي ويطاول هذا الجيش في الخروج من فلسطين فيحول ذلك دون تحقيق فكرة الوطن القومي اليهودي. تلك الفكرة التي هي في الحقيقة الوسيلة الاولى لحماية قضية البترول الانقليزي

وقد كان الانقليز يدركون غفلة الفرنسويين عن الاهمية الاقتصادية التي لمناطق الاحتلال وجهل ساسة الفرنسيين بهاته الاهمية كشف عنه (كلمانصو) بعد معاهدة فرساي لما وقع اومه عن التفريط في مناطق البترول بالعراق فقال: لم نكن نعلم ان بهاته المناطق بترولا - وعلى كل حال فان الانقليز عرفوا كيف يخرجون الجيش الفرنسي من الموصل فلقد اخذوا يحيون بدعاياتهم في وسط الجيش الفرنسي فكرة حماية مسيحيي لبنان باعتبار انهم كاثوليك وان فرنسا حمتهم وتداخلت في شانهم سنة (١٨٦٠) ولـذا فينبغي المبادرة بحمايتهم قبل ان يعتدي عليهم الملك فيصل القائم بمملكة سوريا وحتى يخدش الشرف الفرنسي الذي يعتبر ان كل اعتداء على شرف فرنسا نفسها وعلى هذا الشعور ارتحل الجيش الفرنسي من الموصل قاصدا بيروت وبذلك خلت مناطق البترول من الفرنسيين بلا رجوع اليها مرة اخرى واستقل بها الانقليز على معنى ان تكون بالعراق قوة حليفة حتى ينظر في امرها فيما بعد .

اما ما يخص تطبيق المعاهدة (الملونة) على الوضعيات الجديدة فقد فكروا فيما عسى ان ينشأ من الصعوبات امام الانظار الدولية عند مبادرة كل من فرنسا وانقلترا لتطبيق معاهدة لا زالت غير دولية وانتهى الامر اخيرا الى ان الحلفاء قرروا في فرساي ان ممتلكات (الاعداء) ينبغي اجراء استشارات شعبية فيها لتعرب عن اغلبية الراي في اختيار الدولة التي تتولى الوصاية عليها حتى تصل بها الى درجة الاستقلال التام ، وعلى مقتضى هذا اجريت استشارات تحت نظر الحلفاء في مملكة الشام (سوريا ولبنان وفلسطين) باعتبارها وحدة دولية استشارة يرا

منها اختيار الدولة المرشدة طبق ما التزمه فيصل في هذا الشان . وكانت نتيجة الاستشارات ان ترجحت الوصاية الامريكية بنسبة (٧٨) بالمائة فاخذت الاذاعة الانقليزية تبث للامير كان ان من انتدب للوصاية ليس معناه انه مجبور على قبولها وان الوكيل ليس مجبورا على قبول راي الموكل بل له حرية الرفض والقبول . وزيادة على ذلك لو ان امريكا قبلت الوصاية فان قبولها هذا يكذب ما كانت تقوله وان دخولها للحرب لم يكن له اي قصد استعماري . اما الاختان الاستعماريتان (فرنسا وانقلترا) فانه لا يضرهما ان يحتملا مسؤولية الوصاية من باب انا الغريق فما خوفي من البلل . وخير طريق للخلاص من هذا ان يعقد مؤتمر ثلاثي (فرنسا انكلترا امريكا) ينظر في النتيجة ويقرر ما يلي : ١) تنازل امريكا عن وصايتها ٢- انه ينبغي حماية امريكا من الدنس الاستعماري بعد ان اصبحت محل ثقة والتجأ اليها العالم لتطبيق برامج ولسن ٣- ينبغي ان يكون هذا المؤتمر ثلاثيا يحل المشكلة ما بين الطرفين على ان تكون امريكا بينهما حكما عدلا لها الكلمة العليا في التحكيم

وعلى هذه اللباقة السياسية الانكليزية انعقد المؤتمر وعقبته معاهدة (سان ريمو) في ابريل (١٩٢١) وقع الاتفاق حسب النقط السابقة بطريقة تجعل الاشراف على سوريا ولبنان لفرنسا . اما العراق وفلسطين فللنظر الانكليزي .

وكان الاحتلال الانكليزي المبني عمليا على تطبيق معاهدة سايكس بيكو ان جعل جميع المؤتمرات والعوامل امام الامر المقضي . عقبه صدور الكتاب الابيض سنة ١٩١٩ الذي يصرح رسميا بانه تطبيقا لوعد بلفور فانه يمنح لمن شاء من اليهود الهجرة الى فلسطين وان المحصل من المهاجرين على ورقة الهجرة يصبح مواطنا بفلسطين له جميع حقوق المواطن (من حق النيابات العمومية والبلدية وحق ملكية الارض) وبمقتضى هذا اندفعت الهجرة اليهودية الى فلسطين من ذلك الوقت ٢- ثم ان المواثيق السالفة جعلت القسمة الواقعة قسمة متفقا عليها بين فرنسا وانقلترا

قسمة ضمنت للانقليز حماية مناطق البترول والسيادة عليها ٠-٣-وان هاته المواثيق اوجبت احتلالا عسكريا اوجبت حقا دوليا واعترافا رسميا من الدول الاخرى

لاجل ذلك سار ساسة الانكليز والفرنسيين على مقتضى طريقة الوضع او الامر المقضي - ولكن مركز الوحدة العربية التي كانت تتمثل وقتئذ في عرش الملك فيصل تحركت لمعارضة هذا الامر فانعقد المؤتمر الوطني السوري مارس سنة (١٩٢٠) . وقرر ولاية الامير فيصل ملكا على سوريا والمحافظة على استقلال سوريا (بمناطقها الثلاث) على قانون داخلي خاص بلبنان ٢ منع الهجرة اليهودية وعدم الاعتراف بالكتاب الابيض - ولكن بمجرد هذا الاعلان اسرع الى معاهدة صان ريمو على اصول التفاهمات الفردية فاعطيت العراق وفلسطين لانكلترا واعطيت سوريا ولبنان لفرنسا - وبمجرد امضاء تلك المعاهدة اسرع نائب فرنسا بسوريا يبلغ الى الملك فيصل انذار - قورو - الذي يرغب فيه التراجع عن مقررات المؤتمر السوري والاعتراف بمعاهدة (صان ريمو) وزيادة عن ذلك الاعتراف بالسلطة الفرنسية ولكن الاباء السوري لم يخضع لهذا الانذار فانعقد المؤتمر ثانية في ٤ جوان سنة (١٩٢٠) يؤيد المؤتمر السابق ويرفض انذار - قورو - ويقرر تنفيذ مقررات مارس سنة (١٩٢٠) . وتبع ذلك الحوادث الدامية بين جيش فيصل وجيش فرنسا الحوادث التي انتهت بمعركة (ميسلون) واحتلال كامل البلاد السورية .

- وهنا نتهي الى ان مصلحة بريطانيا هي التي احدثت قضية فلسطين وان مظاهر السيادة العربية كانت ممثلة في العرش الفيصلي (المعارض الاول لفكرة الوطن القومي) . ومن هنا نفهم ان جميع الحقوق التي ترتبت لليهود انما كانت تابعة للانتداب الاجنبي لا توجب حقا للسيادة القوميه وانه حين يرفع الانتداب ترتفع معه جميع الحقوق التي اكتسبها اليهود فيما يزعمون .

ثم ان الالتزامات التي يتمتع بها اليهود انما كانت من طرف الانكليز لا غير وان المنتظم الدولي خاضع الى صعوبة ملاحظة رفع الامر الذي قام عليه . واذا ما شاء الربط بين رفع الانتداب وابقاء ما ترتب عليه فانه واقع امام الامر المحال .

وفي هذا ما يشرح السر في كون الجمهورية السورية هي الزعيمة اليوم لموقف الدفاع عن فلسطين فان ذلك انما كان مبنيا على اصول تربط رد دعوى اليهود باستقلالها واصول القانون الدولي العام لها شاهدة على ان استقلال قطر لا يمكن ان يوجد حقيقة اذا كان هناك ما يخل بوحدته الاصليه .

واذا كانت سوريا اتخذت موقفها ضد الهجرة اليهودية في مارس سنة (١٩٢٠) فاجدر بذلك ان يتحقق تطلعنا الى موقفها العملي في هذا الشان في شهر مارس المقبل سنة (١٩٤٨) اه

فلسطين الوطن القومي للعرب ٢٩ - ١٢ - ١٩٤٧

الثورة الفلسطينية الكبرى (الحلقة -٤-)

حضرات الاساتذة ايها السادة

لعل التاريخ الانساني العالمي لا يستطيع ان يسجل غصبا وافتكاكا مكن لنفسه من اساليب الترويج الدعائي والمغالطة والتضليل مثل ما سجل للقضية الصهيونية وقد كان من اثر ذلك ان احاطت بهاته القضية شبهة حق . زادها قوة رغم ما احاط بها من دواعي السياسة العالمية والاغراض والاهواء هي قوة معها عظم مبلغها فلن تبلغ قوة العجب الذي منذ رواجها في الاوساط العالمية . فهي شبهة في حد ذاتها ضعيفة واهية ولكن لكثرة رواجها واساليب دعايتها والطنين الهائل الذي احدثته في المحيط العالمي اصبحت متجهمة عويصة امام كل داخل لبحث هاته القضية وحل مشكلتها . حتى انها اصبحت عسيرة الرد لكثرة ما يحيط بها من التهويل والترويج على نسبة من الفتنة ان الحق يصبح امامها حقا ينبغي رعايته وتأييده . ولكن الواثق بصدق القضية وكنهها الحقيقي يزيده هذا الرواج الباطل ثباتا في موقفه على ثبات ويجعله ككل موقن بحق يجد لذة في تهديم فتنة الحق المزور المموه الذي احاطت به الاباطيل من كل جانب وبدا لكل من لا يعرب اصل القضية حقا لا شبهة فيه وما هو في الحقيقة الا باطل صراح واعتداء بين ينتحر امامه الشرف العقلي والحماس الانساني وتهون النفس التي ماتت في سبيل ابطالها مستجيبة لداعي الشرف والقومية.

لقد ابتدات هاته القضية كما تعلمون بوعد شخصي مجرد عن الصفة الرسمية سري لا يسمع له بذكر في المحافل الدوليه والشعبية هو وعد اللورد بلفور للورد روتشيلد الذي يصرح له فيه بتاييد فكرة الوطن القومي . ولقد عرفنا ما هي

المطامع الداعية لهذا الوعد الذي لم يكن الا رشوة لاعلان الثورة الداخلية في المانيا زمن الحروب العالمية الاولى .

واذا كان هـذا الوعد في اول امره لا يسترعي النظر ولا يوجب الالتفـات الا انه تطور بعد ذلك اطوارا غريبة اصبح بعدهـا نواة حركة تكاد تكون اعقد المشاكل الدولية واصعبها حلا . لانه صدر معارضا لالتزامات اخرى هي التزامـات دولية شرعية مؤادهـا ان تضمن استقلال الدول العربية التي انفصلت عن الخلافة العثمانية . ومعلوم ان ضمان الاستقلال يستلزم البعد عن تقسيم السيـادة القومية ورد النفوذ الاجنبي عن حرمة الاستقلال وسلامته .

ولكن مواثيق سرية كشفت فيما بعد وظهر منها ان انقلترا كانت تبيت طريقة سرية للجمع بين هاته الالتزامات وهذا الوعد الذي رات انها بسبب بقائه والمشاكل المنجرة عنه تستطيع ان تبقى مستغلة لمنطقة حيوية لها ولضمان سلامة بترولها .

وجـاء مؤتمر الصلح بفرنسا في جوان سنة ١٩١٩ وحضـرة الملك المقـدس فيصل الاول ممثلا لمصالح الدول العربية المستقلة التي اعترفت بهـا انقلترا وضمنت استقلالها . ولكن مفاجأة غريبة ظهرت في المؤتمر هي ظهور امد جديد في المؤتمر بل جديدة في الحياة الاممية العالمية تطالب بحق وطنهـا القومي فلقد دعـي اليهود للمشاركة في هذا المؤتمر باعتبارهم وحدة مساندة للحلفاء ومشاركة لهم في الكفاح الحربي ضد الالمان - وما ان اطلع الملك فيصل على هذا الامر حتى اعلن امتنـاعه من حضور المؤتمر ومن المـذاكرة مع الصهيونين الذين جـاء وفـدهم برئـاسة الدكتور حيم ويزمان وانه لا يقبل المذاكرة الا على قاعدة ضمـان الاستقلال التـام جميع الاوطان العربية التي جاء لتمثيلها .

وازاء موقف الملك فيصل طويت القضية بين توتر الصلة واحيلت المسالة على الصك التاسيسي الذي تكونت به عصبة الامم وليـقع النظر في تفاصيلها ولكن الواقع سبق ذلك اذ ان انكلترا بمجرد انسحـاب الجيوش بادرت بتسمية السر هربرت

صمويل مندوبا ساميا بفلسطين . وهو يهودي متعصب . فكان هذا الحادث الجديد دليلا آخر على ان انكلترا تريد انجاز الفكرة عمليا . وبمجرد تسمية هذا المندوب السامي ابتدات الهجرة الصهيونية تتدفق من كافة اطراف العالم الى فلسطين بمقتضى التداخل الاداري الذي يمثله صمويل ؛ قبل ان تتقرر نظرية ـ وعد بلفور ـ .

وبناء على قرار مؤتمر الصلح ان الدول المنفصلة عن الخلافة العثمانية تعتبر مستقلة تحت وصاية دولية تباشرها دولة حليفة معينة ؛ دعت انكلترا في شهر افريل سنة ١٩٢١ الى اجتماع المجلس الاعلى لدول الوصاية على البلاد العربية . وكانت الدول المشاركة فيه اميركا وفرنسا وانكلترا وتولدت عن ذلك معاهدة صان ريمو التي قررت ان تكون الوصاية مقسمة ما بين فرنسا وانكلترا وان فلسطين تعتبر تحت الانتداب البريطاني « ليمكن لبريطانيا تطبيق تصريح وعد بلفور » وبذلك اصبح هذا الميثاق الجديد موجها لعصبة الامم في تحرير صك الانتداب الذي تمت المصادقة عليه في جويلية سنة (١٩٢٢) بمافيه من نص على تنفيذ فكرة الوطن القومي لليهود ومنذ ذلك التاريخ ابتدات النار تشتعل في فلسطين .

فابتدات المصادمات بين العرب واليهود أواخر سنة (١٩٢٠) دامية مسلحة اضطرت معها القوات الانقليزية الى التداخل . وتجلت الحركة بصفة اقوى سنة ١٩٢١ الى درجة ان شغلت جميع الاتجاهات السياسية بانكلترا وحملت مجلس العموم البريطاني على محاسبة سياسة الحكومة في شان هاته القضية . وانتهى الامر بتكوين لجنة بحث سنة (١٩٢١) لتقرير نظرها في دواعي الاضطراب .

ومن الغريب ان ميثاق الانتداب لم يبن على النظريات الاصلية المجردة ولا على الحق الدولي المشترك . ولكنه بني على اعتبارات غريبة شاذة ولعل اغربها هو اعتبار وعد بلفور كاصل اساسي لقيام الانتداب البريطاني على فلسطين . وبذلك وجدت الشبهة الصهيونية مستندا قويا للدعاية فابتدات الهجرة من مختلف بلدان اوروبا منادية بشتى وسائل التحريض والاغراء حتى ان منها ما كان يشير الى خلاء الارض

وحاجتها الى من يشغلها ويستثمر خيراتها . وكانت الوكالة اليهودية ناشطة في وسائل الدعاية والاغراء الى ابعد حد . ورغم نشاط الوكالة اليهودية في اشتراء الاراضي وتقديمها للمهاجرين فانه لم تات سنة (١٩٢٦) حتى كثرت البطالة والعطالة نظرا لاستنفاد المهاجرين اليهود جميع ما يصلح للاستثمار والعمل . في سني ٢٣ و ٢٤ و ٢٥ فكانت الازمة الجديدة داعية لدعايات وانتقادات على الوكالة اليهودية في تقصيرها وعدم قيامها بالعمل الناجع . وبناء على ذلك تحركت انكلترا ونظرت الى انه لا بد من حياطة الهجرة لتحاشي الوقوع في مثل هاته الازمات - فصدر في سنة (١٩٢٦) قرار يحمل المهاجرين الى فلسطين شروطا ترجع الى الحالة المالية والعائلية لا يعتبر مستحقا الهجرة الى فلسطين الا من توفرت فيه . ولكن اتخاذ هذه الشروط كان قليل الجدوى لان الوكالة اليهودية هي المسؤولة على تطبيقها واعطاء بطاقة الهجرة القانونية .

وجاء حادث - حائط المبكى - في اوت (١٩٢٩) فكان مناسبة لاظهار الاحقاد والضغائن التي يحملها الشعب على الغاصب الخارق لجميع القوانين . فجرت مصادمات هائلة في مناطق كثيرة تداخل فيها الجيش الانكليزي بعنفت واسفر عن ٣٠٠ قتيل و ٦٠٠ جريح بما اضطر القوات العسكرية الانكلزية الى طلب امدادها بزيادة الرجال وقد كان عدد رجالها ٢٠ الفا وآل الامر في النهاية الى اعادة لجنة بحث اخرى عرفت بلجنة (شاو) ضاع قرارها في المداولات فلم يتخذ صبغة نهائية فاعيد ارسال لجنة ثالثة سنة (١٩٣٠) تعرف بلجنة سمنسون . وكانت هاته اللجنة اختصاصية في الاقتصاد والاسكان . فقررت كنتيجة لبحثها ان عدد المهاجرين من اليهود الى فلسطين قد بلغ في اكتوبر سنة (١٩٣٠) الى اقصى حد يمكن احتماله بهذا القطر وان الهجرة ينبغي ايقافها حتى لا تعود المشكلة والازمة . وبينت هاته اللجنة ان جميع الاراضي الصالحة للاستثمار وزعت على اليهود ولم تبق فلسطين بعد ذلك قابلة لاية هجرة الا اذا اقيمت اعمال عليا ترجع الى طرق احياء الاراضي واساليب

الري وهي وسائل ما زال اليهود والدولة عاجزين عنها عجزا تاما . وعلى ضوء تقرير هاته اللجنة قررت حكومة ماكدونالد اصدار بيان رسمي (١٩٣٠) تلتزم فيه انكلترا بايقاف الهجرة الى فلسطين . وسمي هذا البيان بالكتاب الابيض فكان ثاني الكتب البيضاء في هذه القضية وقد صادف انتقادا مرا من طرف اليهود وسخروا من اجله جميع الصحافة البريطانية وطوائف من النواب الى حملة عنيفة ضد حكومة ماكدونالد ودفعت الشق المعارض بزعامة تشرشل الى انتقاد هاته السياسة الممثلة في الكتاب الابيض وان مسؤولية عظمى ترجع الى الحكومة في جعل الحركة الصهيونية مقطوعة وآمال اليهود ممنوعة وزاد في شدة هاته المناقشات البرلمانية والحملة الصحافية استقالة حيم ويزمان من الوكالة اليهودية التي تبعتها عدة استقالات نيابية ومن مناصب هامة بالبنوك . وامام هذه المشادة العنيفة التي بينت للعالم ان الدعاية والترويج انفذ مفعولا من التقارير الفنية راى ماكدنالد انه اصبح مرغما على التراجع فيما تضمنه الكتاب الابيض . فصدر منه في (فيفري ٣١) مكتوب شخصي على نمط وعد بلفور الى الدكتور ويزمان رئيس الوكالة اليهودية يتضمن ان الحكومة البريطانية لاحظت بعين الاعتبار الانتقادات الموجهة ضد الكتاب الابيض وانها مستعدة لاعادة النظر فيه . وقد جرى الاصطلاح الاسلامي على تسمية هذا المكتوب (بالكتاب الاسود) لانه يناقض الكتاب الابيض ويعارضه .

وامام هاته الصدمة قرر قادة فلسطين الخروج بالقضية الفلسطينية عن الدائرة المحلية الضيقة التي خنقت فيها الى دائرة مجموع العالم الاسلامي وبدأوا يبينون ان اليهود رغم قلتهم استطاعوا بدعايتهم ارغام انقلترا على التراجع عن الكتاب الابيض وان المسلمين باتساع رقعتهم وكثرة عددهم والدول العظيمة المتكونة منهم والثروات الطبيعية الطائلة التي تحت ايديهم يستطيعون هم ايضا رد الفعل لهذه الدعاية الباطلة اذا ما هم وضعوها امام العالم - لهذا قرر زعيم فلسطين بل زعيم العالم الاسلامي السيد

محمد امين الحسيني بصفته مفتي القدس الابتداء باصدار دعوة عامة اسلامية لتكوين مؤتمر اسلامي بالقدس وعقد فعلا هذا المؤتمر في رجب ١٣٥٠ (ديسمبر ٣١) فكان المؤتمر مظهرا تجديديا للامال الاسلامية التي قضي عليها بالقضاء على الخلافة العثمانية ، وكان بحق مبعثا للروح الاسلامية التي ظن موتها ومظهرا اتحاديا اسلاميا شاملا ظهرت فيه قوة العزيمة والاستعداد في سبيل انقاذ فلسطين وتسفيه احلام اليهود ، ولم يكن الاثر الاول لهذا المؤتمر الا ان كون فكرة الدفاع عن فلسطين في كل راس منهم فلم يمض عليه اقل من سنة حتى جاءت حادثة وادي الحوارث في (نوفمبر سنة ١٩٣٢)وكانت الحادثة عبارة عن مثال مكبر جدا من حوادث مثلها يعرفها العالم الاسلامي من الاستعمار في كل مكان كان الوادي ارضا خصبة توجد فيها مناطق استثمار اليهود ويقطنها سكان عرب قرويون فلاحون ، ولكن برنامج الوكالة اليهودية كان يرمي زيادة على امتلاك الاراضي الى تهويد المنطقة تهويدا كاملا بان يصبح العنصر اليهودي هو صاحب الملك والاستثمار وراس المال واليد العاملة . فقرر اليهود اجلاء العائلات العربية من المنطقة لان بقاءها يهدد اليهود ويعطل النمو الاستعماري ـ وجرى الحادث على ابشع صورة بما اثار الحفائظ فتحددت الحركة للمرة الرابعة ولاقت صدى في عموم العالم الاسلامي بما مهدت لها روح المؤتمر فقامت الاحتجاجات والمظاهرات بكيفية غريبة في حدتها بالهند ومصر والعراق وسوريا ، واعقب ذلك دخول العراق بمجلس عصبة الامم (سنة ١٩٣٢) ومن هنالك اتجه البرنامج العربي الاسلامي الى وضع الصهيونية امام الانظار العالمية ......

وتقدمت العراق (سنة ١٩٣٣) بمذكرة الى مجلس عصبة الامم المتحدة تطلب فيها اعادة النظر في صك الانتداب البريطاني على فلسطين . فاعقب هذا التقديم لجنة بحث اخرى وكتابا ابيض جديدا (سنة ١٩٣٣) يتضمن التراجع عن بعض ما جاء بالكتاب الاسود البريطاني . ومضت السنين تزيد الراي العام الاسلامي التهابا

والراي العام العالمي التفاتا الى (سنة ١٩٣٦) وهنالك حيث ايقن العالم الاسلامي والعربي بان الجو الخارجي قد تهيأ لقبول جديد للنظر في القضية .

تقدمت سوريا الى فتح سلسلة الحوادث التي ابتدات بسيطة بمصادمة مع الشرطة وسرعان ما انقلب الامر الى مظاهرات ضد الانتداب ترمي الى رفع الحواجز بين سوريا وفلسطين وتوقيف الهجرة اليهودية . ووجدت الحوادث صدى قويا في فلسطين فاجيبت بمظاهرات سلبية (اضراب عام) ثم تطورت الى اعمال ايجابية في شهر ابريل ودامت العمليات محلية حينا ثم انقلبت الى ثورة عامة بل حربا عوانا بحق من اشد ما عرفت الدنيا هولا بعد الحروب الكبرى . وتقربت منظمات الشباب من العمل واسرع الشباب الى التطوع من مختلف الاصقاع الاسلامية وانتظمت فيالق الشباب تحت قيادة البطل العظيم فوزي القاوقجي بحيث ان الجيش الانقليزي المرابط وعدته عشرون الف جندي اضطرته شدة الحوادث الى طلب النجدة مرتين حتى بلغ عدده ستة وثلاثين الف جندي (٣٦٠٠٠) . دامت الثورة ستة اشهر كاملة عززها اضراب عام دام دوام الثورة فشلت حركة الاقتصاد والتموين وظهر فيها العداء الصامت ضد اليهود والانقليز في مقاطعة البضاعة . فكان هذا العمل خير ما عمل من وراء واجهة القتال للتاثير على الخصوم في الواجهة .

كانت هاته الحوادث محركة لاضطراب كبير في عموم العالم الاسلامي المعاصر - ولو شاء باحث بعد هذا العصر ان يبحث في المظاهر الحيوية والموجات الاجتماعية التي شملت العالم الاسلامي اذ ذاك - لم يجد مظهرا احلى من هذا المظهر الشعبي الهائل الذي تكون استجابة للقضية الفلسطينية ذلك الاضطراب الذي افضى بالحكومات المسلطة على الشعوب الاسلامية الى تلبية هاته العاطفة المتاججة المشبوبة والنزول الى حكمها وارادتها فتداخلت الملوك والحكومات في القضية في سبيل الضغط على ايقاف الهجرة اليهودية واعلان استقلال فلسطين . وما ان استجاب الملوك

للرغبة الشعبية حتى طلبوا ايقاف الثورة تمهيدا للجو . وهكذا لبى زعماء الثورة نداء الملوك (خصوصا ملك مصر) . ولكن الحوادث كانت لم تنته حتى كانت مصر عضوا في مجلس عصبة الامم المتحدة فتعزز بها جانب العراق . وبانتهاء الحوادث رغبت مصر والعراق وكثير من امراء الهند والممالك العربية الدخول في المفاهمات والمذاكرات مع انقلترا لفض المشكلة الفلسطينية على ضوء الالتزامات والمواثيق الدولية .

ورای الانقليز ان الدخول في هاته المذاكرات يستوجب ارسال لجنة بحث الى فلسطين قبل الشروع في المذاكرات فارسلت اللجنة التي اشتهرت باسم (لجنة بيل) على معنى ان تمد هاته اللجنة الحكومة الانقليزية بمناشيء الاضطرابات واسباب الحوادث تستطيع على ضوئها ان تدخل في المذاكرات مع ملوك الدول الاسلامية . وجاء قرار لجنة بيل قاضيا بايقاف الهجرة اليهودية الى فلسطين . ولكن بعد ان جاوزت الهجرة حدها الطبيعي وكان التقرير يشتمل على ناحية اخطر من هذه وهي تصريح اللجنة بانه لما كانت بريطانيا ملتزمة بتنفيذ وعد بلفور القاضي بانشاء الوطن القومي اليهودي فان هذا الوطن قد تكون بالفعل وانه لا مبرر لاستمرار الهجرة بعد الآن . وبناء على هذا التقرير قبلت حكومة لندن ان تدخل في المفاوضات على اعتبار ان بفلسطين وطنين اثنين احدهما للعرب والآخر لليهود وان عدم تحديد منطقة هذين الوطنين هو منشأ الاضطرابات والمشاكل ولهذا فحكومة لندن مستعدة للدخول في مفاوضات مع ملوك العرب ترمي الى وضع قواعد اساسية لتحديد الحدود ما بين الوطنين وتسوية مشاكلهما .

لكن ملوك الاسلام والعرب رفضوا هذا البرنامج الجديد لانهم يجعلون عدم تقسيم فلسطين وعدم اعتبار الوطن القومي اليهودي قاعدة اصلية للدخول في المفاوضات مع الانقليز . فرفض المسلمون هذا الاقتراح وراوا انه لا سبيل الى

التاثير على الانقليز الا بشدة الضغط الادبي من عموم العالم الاسلامي وافهام انقلترا ان اصرارها على هذا الموقف سيعرض جميع مصالحها بالعالم الاسلامي الى الخطر والهلاك .

وعلى هاته القاعدة ابتدأ طور المؤتمرات في العالم الاسلامي ولم تظهر نتائجها الايجابية الا في مؤتمر المائدة المستديرة (سنة ١٩٣٩) الذي انتهى بالاخفاق ولكن انتهى ايضا باقتناع انقلترا ان منهجها القديم كان لا يوصلها الى فائدة ترجوها خصوصا عند ظهور نهضة المانيا (٣٩) واستعدادها لحرب عالمية ثانية .

ابتدأت المؤتمرات في العالم الاسلامي بمؤتمر سوريا سنة ١٩٣٧ الذي دعت اليه لجنة الدفاع عن فلسطين برئاسة السيد (نبيه العظمة) لخدمة القضية الفلسطينية فانعقد المؤتمر (ببلودان) وكان اول مؤتمر يعقد خارج فلسطين . ولبى الدعوة الى هذا المؤتمر رجالات ابطال امثال ناجي السويدي عن العراق ومحمد علي علوبة عن مصر . والامير شكيب ارسلان عن مجموع العالم الاسلامي وعبد الحميد سعيد رئيس الشبان المسلمين بمصر . وانعقد المؤتمر تحت رئاسة ناجي السويدي بوكالة علوبة باشا والامير شكيب ارسلان وكان اول قرارات المؤتمر اسناد الرئاسة الفخرية الى سماحة مفتي فلسطين باعتباره باعث روح التكتل الاسلامي . وخطب ابطال العالم الاسلامي واتخذوا مقررات ضد فكرة الوطن اليهودي والتقسيم وعملوا على ايجاد الدعاية وتكتل العالم الاسلامي .

ورجع علوبة باشا الى مصر مصمما على عقد مؤتمر برلماني يكون كتلبية اولى لمؤتمر بلودان وعقد (في ماي سنة ١٩٣٨) بمحله اجتماعا حضره عدد كبير من الشيوخ والنواب وعقبه تقرير تكوين مؤتمر برلماني عربي يكون تاييدا رسميا للعواطف الشعبية والموجات الاجتماعية التي عمت سائر الممالك العربية . وانعقد المؤتمر بالقاهرة ثم اعقبه المؤتمر النسائي تحت رئاسة زعيمة النهضة النسائية هدى

هانم شعراوي الذي دل على رسوخ فكرة انقاذ فلسطين في صميم العائلة الاسلامية وكانت جميع هاته المؤتمرات تشعر ساسة الانقليز بان مصالحهم مع العرب والمسلمين اصبحت مهددة بخطر محقق وان القوات الناشئة باوروبا والمنازعة للسيادة الانقليزية ستجد خير منفذ لها في نشر دعايتها والنيل من السيادة الانقليزية . وزاد في ايقاظ هذا الشعور حركة الهند الاسلامية واهتمامها بمشكلة فلسطين حين قرر مجلس العلماء المسلمين بالهند عقد مؤتمر عظيم في شان فلسطين وموقف الهنود منها . وعقد المؤتمر بمدينة بومبيي في دار ندوة العلماء حضره الف عالم مسلم من اطراف سلطنة الهند العظمى وكان قرار هذا المؤتمر الحد الفاصل بين سياسة التردد والاحجام . وسياسة الايجاب والاقدام وارسلت مذكرة الى نائب ملك بريطانيا بالهند كانت الفقرة الاخيرة منها تحمل اكبر تهديد للدولة الانقليزية . « ان استمرار بريطانيا في العسف والارهاق بفلسطين لمما يلهب نفوس المسلمين الهنود عليها وان تماديها على هذا الصنيع يجعل كل بقعة من بقاع الهند فلسطين اخرى وان كل مسلم هندي سيندفع الى الجهاد في سبيل الاسلام ويموت كما مات فرحات السعدي في طاعة الله ورضاه » . اه

القضية الفلسطينية بعد الكتاب الابيض ١٩٣٩ (الحلقة - ٥ -)

حضرات الاساتذة ايها السادة

لعله لم يبق مدرك في العالم يجهل ان قضية فلسطين اصبحت قضية عالمية بالمعنى الكامل لها في كل مملكة صدى وفي كل شعب حديث وفي كل مجرى من مجاري السياسة الدولية اثر . فهي قضية اوقفت العالم الانساني صفين : صف المستعمر الذي يدعي ان له الحق في تسيير شؤون الشعوب وتكفل بمصيرها ثم هو يغالي في هذا الادعاء حتى يجعل نفسه خليفة الله على الامم المستضعفة المهيضة وصف الامم المغلوبة على امرها والتي لم تزل ويا للاسف بعيدة عن التساوي مع الصف المناهض لها . ولعل الدور الخطير الذي قام به سماحة المجاهد العربي السيد امين الحسيني اذ اخرج قضية فلسطين من محليتها الى عموم الجامعة الاسلامية . هو الذي خلع على هاته القضية صبغتها العالمية الجديدة منذ ١٩٣٩ وانتم لاحظتم في محاضراتنا الماضية ان ما نشأ حول القضية الفلسطينية من تاييد وتشجيع في مجموع العالم الاسلامي وخصوصا ببلاد الهند . ومن التهديد من حين تعطيل ارباح بريطانيا في بترول العرب بالشرق الادنى ومن مشاكل مراسي عدن . وتعقد مصالح بريطانيا بمصر ومن قوة الدعايه المحورية ضد الحلفاء وخصوصا الانقليز واتخاذ الدعاية المحورية قضيه فلسطين وسيلة لايجاد الاضطراب بالعالم الاسلامي ومضادته للسياسة الانقلزية كل ذلك كان يجري منذ دخلت القضية في صبغتها العالمية بالمؤتمرات الاسلامية سنة ١٩٣١ المؤتمر الاسلامي العام بفلسطين . ومؤتمر بلودان سنه ١٩٣٧ والمؤتمر

البرلماني بالقاهرة سنة (١٩٣٨) والمؤتمر النهائي بها سنة (١٩٣٨) كان كل هذه السلسلة من المؤتمرات والمجامع العامة هو الذي اوقع بريطانيا امام شعور جديد اصبح يهدد مصالحها بصفة عامة في مجموع العالم الاسلامي . وبهذا وجد الانقليز انفسهم امام مظاهر اخرى ما كانوا ايروهـا من قبل ومن جهة اخرى فان اوروبا منذ سنة ١٩٣٥ اصبحت حـالتها تنذر بالحرب الطـاحنة الواقعة لا محالة . ومعلوم ان انقلترا حينما تواجه حربا (ولا سيما حربا عـالمية) فانها لا تواجهـا بالنسبة الانقليزية العددية المحصورة وانمـا تواجهها بالنسبة الامبراطورية وقوة النفوذ الاستعماري واملاك التاج البريطاني .

اما الوطن الانكليزي فإنه باعتباره الذاتي واستعداده للحرب او اقتصر على نفسه فإنه يخسر الحرب لا محالة وتكون كفته في ميزان الحرب هي المرجـوحة فكان الانكليزي انما اعتماده على امبراطوريته الواسـعة . ولما انذرت الدنيا بشر الحرب العالمية المقبلة نظر الانكليزي إلى معتمد قوته وذخيـرته واذا بتلك الامبراطورية الشرقية تهدد باجمعها مصالح الانكليز واصبح العالم الاسلامي بمجموع ادارته مضادا للانكليز من جراء سياسته بفلسطين . فكان هذا الشعور البريطاني بالخطر المزدوج خطـر الحرب وخطر الامبراطورية يحدو بريطانيا إلى تـلافي ذر وتدارك الموقف . وحماية نفسها وسلامة املاك تاجها وكان كل هذا يشعرها في بان الخط الواجب الاول الاكيـد والـذي لا يقبـل التردد « هو الاسراع في البت قضية فلسطين على معنى يضمن مصـالح بريطانيا المهددة قبـل كل شيء . ويقطع النظر عن وعد بلفور وغيره من العهود . فاتجهت السياسة البريطانية متجه تعديل سياستها من جراء التهديدات لا من جراء القضية نفسها .

وعلى ذلك ابتدات المذكرات ما بين بريطانيا من جهة وما بين ملوك العرب على انفراد من جهة اخرى . كان من نتيجة هذه المذكـرات التداخل لتخفيف

الضغط الذي كان يقوم به قادة الثورة الفلسطينية وعقب هذا التداخل دعت انكلترا في اوائل فيفري سنة (١٩٣٩) إلى مؤتمر المائدة المستديرة لقضية فلسطين واعتبر هذا المؤتمر في نظر السياسة ثلاثي الاطراف (١) السلطة الانكليزية الوصية على فلسطين (٢) السكان الاصليون العرب الذين تعهدت لهم بريطانيا بالالتزامات (٣) اليهود باعتبار ما لهم من حق مزعوم ووعد ارتبطت به انكلترا منذ سنة (١٩١٧) وانعقد هذا المؤتمر في لندن سنة (١٩٣٩) وكانت نتيجته المحققة هي الخيبة والاخفاق كشأن كل مؤتمر يجمع ما بين العرب واليهود. لان الخلاف كان مبنيا على قاعدة - هل لليهود حق ام لا - ومن قبل الدخول في المذاكرات كان القسم المخالف للنظرية العربية يجيب بالايجاب ولذلك فإنه من قبل الدخول في المذاكرات كان محكوما على المؤتمر بالاخفاق ومن اجل ذلك امتنع العرب من الدخول في المفاهمة مع اليهود كما امتنع المرحوم الملك فيصل من الجلوس مع ويزمان في مؤتمر الصلح. فاصبحت الجلسات تعقد بكيفية غريبة هي مفاهمات بين الوفد البريطاني والوفد العربي مرة وبين الوفد البريطاني والوفد اليهودي اخرى ومع هذه الخيبة المرة لمؤتمر المائدة المستديرة فإن المحافل السياسية البريطانية استطاعت ان تستفيد على الاقل حيث لم تصل إلى فض المشكلة العويصة وتوصلت الى نتيجتين (١) اعتراف الطرفين للطرف الثالث بحق تسيير القضية (٢) استطاعوا من اثناء النقاش تبين وجهتي النظر العربي واليهودي الى ابعد حد بحيث ان كل غموض واشكال في هذه القضية قد زال بما استفادت وزارة الخارجية الانقليزية منه اكبر فائدة . وهو وان لم ينته الى نتيجة ذاتية ولكن انتهى الى نتيجة مؤثرة في التوجيه الجديد لسياسة بريطانيا .

وبناء على هذا واعتبارا للحاجة الملحة والمصلحة العليا البريطانية فان بريطانيا بادرت بفعل سريع وفض للمشكلة بما يجعل حدا للاضطرابات والتهديدات

الاسلامية . فقررت بريطانيا رغم اخفاق المؤتمر واستحالة الحل المرضي للطرفين ان تتقدم من تلقاء نفسها بحل جديد مبني على مجرى الظروف العالمية الجديدة وما توجبه حالة الموقف من بعث الامن والاستقرار بربوع الشرق الاسلامي وخصوصا الشرق الادنى . فقررت السياسه البريطانية موقفا جديد كشفت عن أهميته النصوص الرسمية فيما بعد وكان الاتجاه الجديد ثمرة للتطور الجديد في القضية الفلسطينية منذ بدء المؤتمرات العامةمن سنة (١٩٣١) . وان هذا الاتجاه انبنى على عكس تام للاتجاهات القديمة قبل الحرب العالمية الاولى التي انتهت بحكم مر على العالم الاسلامي لما ظهر ان جميع ما كان يصول به العالم الاسلامي انما هو وهمي لا يثبت وان اوضح دليل على ذلك هو الموقف الاسلامي في قضية الخلافة العثمانية بحيث انتهت الحرب العالميه سنة ١٨-١٤ الى عدم مبالاة الغربيين بالقضايا الاسلامية ويقينهم ان جميع صولاته وادعاءاته محكوم عليها بالانهيار فكان توجيه مفتي القدس الشريف قاضيا على كل هذه الاعتبارات بحيث انه افهم بريطانيا ان القضية الفلسطينية هي قضية كل ذرة من ذرات العالم الاسلامي وان الاتجاه الاسلامي نحو فلسطين لم يكن كذلك الاتجاه القديم البالي وان بريطانيا مهددة بالمحق لا محالة اذا هي لم تقتبس الموقف ولم تقدر عواطف المسلمين . فلم ينته المؤتمر الا برجحان الجانب العربي على الجانب اليهودي وان العالم الاسلامي رغم فداحة الضربة القاضية فانه لا زال يحاول ولا زال حيا قادرا على النفع والاضرار وان في قوته المعنوية ما يجعل القوى المادية خائبة خاسرة .

وبناء على الاتجاه الجديد انقلبت سياسة بريطانيا المتبعة منذ عهد بلفور (١٩١٧) وتقرير العدول عنها واعتبرت ان اهمية الجانب العربي والاسلامي يجب مراعاتها وتقديرها بعد ان اصبحت مهددة لمصالح بريطانيا تهديدا مشاهدا محسوسا وعلى هذا صدر كتاب ابيض جديد سنة (١٩٢٩) كان هو الكتاب الرابع من الكتب

البيض في هذه القضية اذ سبقه كتاب سنة (١٩١٩) قرر فيه فتح باب الهجرة وكتاب سنة ١٩٢٢ قرر وجوب النظر في تحديد الهجرة وكتاب سنة (١٩٣٩) تضمن نصوص المكاتيب الدائرة بين بريطانيا والملك حسين رداً على قول ملوك العرب ان قضية فلسطين لم تقع فيها مفاهمات .

وكان الكتاب الرابع هو الصادر في ١٧ ماي سنة (١٩٣٩) يفهم منه بلا نزاع الاتجاه الجديد للسياسة البريطانية في شأن اعتبار واهمية الجانب العربي الذي لم يراع منذ سنة (١٩١٧) الى سنة (١٩٣٩) . فجاء هذا الكتاب الابيض نقضا وابطالا لفكرة التقسيم . ونحن نسوق الترجمة الحرفية للفقرة الواردة في هذا الصدد في مقدمة الكتاب والتي تلقي ضوء كاشفا لهذا الموقف الجديد : « لقد كانت فكرة التقسيم التي عرضتها اللجنة الملكية يمكن ان توضح الحالة ولكن لما كان انتصاب دولتين مستقلتين بفلسطين احداهما عربية والاخرى يهودية تنوي كل واحدة منهما بنفسها امرا متعذرا فان حكومة صاحب الجلالة رأت نفسها مضطرة الى ايجاد حل آخر يكون مع مراعاة لما تعهدت به نحو كل من الطرفين العرب واليهود محققا لحاجات اخرى تقتضيها الحالة بفلسطين » . ثم جاء الكتاب يشرح في افاضة ثلاث نقط جوهرية للحل الجديد . وهاته النقط هي التي اقيمت عليها الالتزامات والتعهدات ودخلت بها بريطانيا العظمى الى الحرب العالمية الثانية . وتتلخص هاته النقط في :

١) في اجل عشر سنين تتكون دولة فلسطينية مستقلة يكون اهل جنسيتها عربا ويهودا وتكون لها علائق اقتصادية وتعاهدية بالحكومة البريطانية .

٢) وفي الخمس السنين الموالية لنشر الكتاب الابيض يكون اقصى عدد اليهود المقبولين للهجرة اليهودية الى فلسطين (٧٥) الف مهاجر . وبعد مضي خمس سنوات لا يسمح باية هجرة يهودية الا اذا رضي العرب بذلك عن طيب نفس وتلتزم الحكومة البريطانية بالتعرض بالقوة لكل هجرة غير قانونية .

٣) ان تكون سياسة بريطانيا عاملة على احياء الاراضي وترقية الاساليب الزراعية وعلى ضوء ذلك التطور يكون للمندوب السامي الحق في تنقيح وتغيير كل ما يعارض هذه الغاية من منع تسليم الاراضي او تجديده اذا تحقق ان حالة الشعب العربي وحقوقه تبقى محافظا عليها بكامل الاعتناء وغير مهددة بحال .

وبناء على هذا فان الكتاب الابيض وان لم يشتمل في نصوصه على نقض وعد بلفور او على معاكسة فكرة الوطن القومي ولكن اليهود كانوا اذكى من ان تنطلي عليهم خفايا الوحيل الانقليز في اعتبار وجهة النظر العربية حيحها . وبهذا سياسة وتر يقن اليهود ان انقلترا رفضتهم وانزلت من مستواهم الذي كان الوحيد المقام له وزن واعتبار في هذه القضيه .

وإن اليهود وإن اعتبروا الآن طرفاء في القضية فإن الاعتبار للجانب العربي إنما كان ناتجا عن إهميته وعن تهديده لمصالح بريطانيا أمام هذه الحرب القادمة فإنه مما لا شك فيه أنه هو الرابح لا محالة بعد انتهاء الحرب . وهنالك قرر يهود العالم قلب ظهر المجن للانكليز ضرورة أن جميع احلامهم ستفشل بعد ان أصبحت مصلحة بريطانيا مع الجانب الآخر وإن انكلترا لا يمكن ان تنظر اليهم باعتبار واهتمام إلا إذا بينوا لها اعتبار جانبهم وأهمية رعايتهم . ومن أجل ذلك قرروا سرياً أوت سنة (١٩٣٩) أن واجب اليهود هو أن لا يعتمدوا إلا على قواهم الخاصة المنبثة في جميع أنحاء العالم وإن الاعتماد على بريطانيا اصبح أمرا يغلب عليه احتمال الخيبة فاتجه اليهود نحو الرأي العالمي الاروبي والاميريكي بما يملكون من وسائل الدعاية (الصحافة والاذاعة) فاستطاعوا بذلك توجيه الرأي العام العالمي إلى العطف على قضية الوطن القومي اليهودي ما دامت السياسة الدولية تقوم على موجات الاحاسيس الشعبية . وكانت هذه القرارات السرية تجري في وقت انصباب الظلم والطغيان النازي على اليهود بالمانيا . فقرروا إتخاذ حالتهم الحاضرة خير

دعامة لهذه الدعاية وبيان خطر هتلر على العالم عموما واليهود خصوصا وأخذوا يبثون دعايتهم في أوربا معتمدين على الجانب الانساني بتصوير المظالم والازهاقات وأنواع التعذيب وانه لا خلاص من هذا إلا بانشاء الوطن القومي اليهودي . وأما شكل الدعاية الذي اتخذوه في اميركا فإنه يعتمد على النظام الحزبي هناك . فقد كان روزفلت مهددا بنهاية مدته في الرئاسة وإن الدعاية الانتخابية ستجري قبل كل شيء على المال وإن الدعاية لا يمكن أن تصدر عن غير البنوك فينبغي لليهود أن يضعوا كل متزعم لرئاسة الولايات المتحدة الاميركية في حالة تشعره بأنه لا يمكن أن يتبوأ مقعد الرئاسة إلا تحت رحمة البنوك (وهي ملك اليهود) وقرروا أن الاتجاهات الدعائية ينبغي فيها إشعار كل مترشح متيقنا بأنه لا يمكنه الوصول إلى الرئاسة الا إذا كان مواليا لليهود عاطفا على قضيتهم في مشروع الوطن القومي لليهود في فلسطين .

كان هذا هو البند الاول الذي سارت عليه مقررات اليهود السرية . أما البند الثاني فكان يرمي إلى البحث عن الوسائل التي توصل بها العرب لجبر بريطانيا على الاعتراف بأهميتهم واعتبارهم بعد إن كانت تسلك معهم مسلك الالغاء والنبذ فرأوا أن القوة الكبرى لهذا التحويل البريطاني انما هي حرب عصابات كالتي كان أشعل نيرانها العرب في (٣٦ — ٣٨) . فينبغي لليهود ان يفاجئوا بريطانيا بتكوين قوات إرهابية لكي يفرضوا مكانتهم واعتبارهم عليها . ولقد وجد اليهود المجال فسيحا سهلا إذ أن كثيرا من العناصر اليهودية ذات التربية العسكرية المهاجرين من المانيا إستعدوا لتحقيق أماني اليهود . ولذلك قرر اليهود في مؤتمر عقدوه سنة ٣٩ إنشاء منظمات إرهابية

وقد كانت منظمة هاقاناه التي تأسست سنة (١٩٣٦) يوم كانت حرب العصابات العربية في عنفوانها . باعتراف الانكليز للدفاع عن اليهود من خطر العرب . وأقيمت

هاته المنظمة ظاهريا على أمر إنساني وهو حقن الدماء . واستطاعت هاته المنظمة أن تجمع المال سرا في ممالك العالم وأن تكون لها فروعا بجميع الانحاء . وبقيت في شكلها الخفي مستعدة للتطور حسب الاحوال . وبناء على مؤتمر سنة (١٩٣٩) قررت الخروج بصبغتها الحقيقية لتهاجم الانكليز وترهب الامن بفلسطين . كما قررت أنه قبل إنتهاء سنة (١٩٣٩) لا بد من وجود (٧٠) إلى (٨٠) الفا تحت تصرفها مسلحين قادرين على الارهاب كما إنها قررت إقامة إذاعة سرية لها لتخاطب العالم بمقرراتها لحماية المبدإ الصهيوني وهي مع كل ذلك تقرر أنها لا زالت مصرة على مقاومة فكرة ازهاق الانفس . وإنها حيث اضطرت إلى الارهاب ستفضل الاعمال التخريبية الارهابية التي إن إستطاعت أن تهدم المنشئات والعمارات فإنها لا تصل إلى إزهاق النفوس وإراقة الدماء . وإن احسن طريق للارهاب هو تخريب الديار الحكومية والمراكز العسكرية ودور البريد وسرقة مستودعات السلاح . ومنذ سنة (١٩٣٠) دخلت منظمة هقانه هذا الطور الجديد حتى جرها هذا الدخول إلى سلب الاعتراف بها قانونيا من طرف السلط الانكليزية وإن بقيت تعمل بصفة واقعية والتحقت بمنظمة الهاغانه منظمة ثانية هي المنظمة المشهورة بـ (إيرقون) إختصار لتركيب عبري هو إيرقون تزواي ليميي أي الحركة الجامعة للشعب ومؤسس هذه المنظمة رجل من عظماء يهود بولونيا إسمه فيجم بجين كانت اتصالات وثيقة باوساط العسكرية الرجعية ببولونيا التي ترى ان بولونيا لا يمكن ان تصبح درقة دفاع للروسيا او لبريطانيا ولا ان تصبح لقمة سائغة لاي كان بعد هزيمة المانيا . فقررت هاته الاوساط القيام الجديد لبولونيا على الروح الملكية . وانقسمت النظرية الى شقين يهودي ومسيحي . وكان من جراء هذا ان اصبح الشق اليهودي يلتفت حول البرنامج اليهودي العالمي فلم يجد امامه الا مسالة الوطن القومي بفلسطين .

ثم تكونت اخيرا في سنة (١٩٤١) منظمة اشتيرن التي هي عبارة عن عصابة اسمها يهودي بولوني ايضا إسمه ابراهام اشتيرن وترى هاته العصابة القليلة العدد ان واجب الدفاع لا ينبغي ان يتقيد بحد وان الروح البشرية هي في حد ذاتها روح تخريبية وانه لا بد من تسليط التخريب عليها . واعلنت ان كل شخصية لها موقف رئيسي ضد اليهود فان العصابة تنذره بالكف وان هو لم يرعو بعد اتصاله بالانذار بانها تقتله وقد كان من اشهر اعمالها العدوانية اغتيالها اللورد موين الوزير المفوض البريطاني بالشرق الادنى بالقاهرة سنة (١٩٤٥) وهي زيادة عن ذلك تهاجم المصالح الانكليزية وتعمل في سبيل ذلك الى اقصى حد وبذلك تعتبر اشد المنظمات الارهابية فتكا وان كانت اقلها عددا .

هذه هي اهم المنظمات اليهودية القائمة لتنفيذ البرنامج اليهودي الجديد والذي ليس له من غاية سوى ارضاخ بريطانيا لليهود كما ارضخت للعرب . وسارت المنظمات في اعمالها الارهابية التخريبية طيلة ثلاث سنوات وكانت الظروف العالمية تزداد تحرجا وخصوصا بعد ان اصبح الشرق الاقصى ميدانا للحرب مع اليابان واذ ذاك بدا الراي العالمي اليهودي تستقر فيه فكرة جديدة كانت المنظمات الارهابية منصرفة عنها وهي ان سياسة بريطانيا قد اتجهت الى الغاء اليهود والبعد عن فكرة التقسيم .

وان هذا الموقف الجديد من شانه ان يجعل بغض اليهود مبدا بريطانيا شعبيا تمثل خصوصا في الام الانكليزية التي تجندل ابنها بفلسطين ايدي التخريب اليهودية ومن شان هذا ان يكون خطرا على اليهود لعلهم يصبحون به بعد انتهاء الحرب معرضين الى آلام مشابهة لآلامهم السابقة تحت النازية .

وان الموقف الذي ينبغي اتخاذه ليحقق الفوز والانتصار انما هو الابتعاد عن فكرة مضادة انكلترا وعدائها عداء اصليا لان في ذلك مضادة للحلفاء تستطيع ان تستثمره للقضاء على آمال اليهود نهائيا في اوساط الحلفاء . وكان اليهود يوقنون بان اميركا لا تستطيع . خصوصا في الشرق الادنى - ان تسير الا على رغبة الانكليز

ومن اجل هذا كله بدأت المخابرات تجري ما بين الوكالة اليهودية ورجالات اليهود وبين المنظمات الارهابية . وكانت هذه المخابرات ترمي الى الاقلاع عن التخريب وقتل الاشخاص . ولاجل هذه الغاية ايضا كان اغنياء اليهود لا يبالون باعطاء الملايين لتقديم الهدايا للحلفاء حتى بلغت عطاياهم المدرعتين والثلاثة والاساطيل الجوية واقبل الشبان اليهود على التطوع في الجيوش الحليفة حتى بنوا على كثرة تطوعهم فكرة عرضت على الاوساط العسكرية والسياسية عند الحلفاء وهي ان اليهود لما كانوا يشعرون بوجودهم الجنسي ويسعون لاعتبارهم في العالم الدولي والابتعاد من عودة المذابح الهتلرية ينبغي لليهود الدخول في الحرب مع الحلفاء وان ينتقموا قبل كل شيء من هتلر عدوهم الالد . وانهم بهذا يستطيعون فرض انفسهم كصديق لا دود . كما ان الحلفاء بهذه المشاركة يستطيعون ان يحملوا انقلترا على التراجع عن موقفها الاول معهم . وجرت مفاهمات في هذه المشاركة تمسكت فيها الهقانة بان تكون لنفسها وحدة مستقلة تعرف بوحدة الهاقانة . ولكن بريطانيا تمسكت بان تكون الوحدة اليهودية داخل الجيش البريطاني . وانتهى الامر بارضاء الطرفين على ان تكون الوحدة اليهودية مستقلة ولكنها تابعة للجيش على ان تكون التبرعات المالية اليهودية ترجع الى توسيع الكتيبة اليهودية لتمتاز بما يناسب الجندي المحارب وتطاولت الهاغانا حتى طلبت فرض مراقبتها على التبرعات اليهودية . ولكن انقلترا رفضت هذا الطلب رفضا باتا .

دخلت الكتيبة اليهودية الحرب سنة (١٩٤٣) وصدرت المكاتبات الرسمية لرؤساء الدول الحليفة واجابت الدول عنها شاكرة معترفة بعظمة الفيلق اليهودي وقدرته على الحرب . وفي سنة (١٩٤٤) اثارت الهاغانة قضية اخرى وهي ان هتلر صرح بانه اذا كان له ما يفتخر به فهو انه العدو الاول لليهود . ولذلك فانه اذا اراد الحلفاء ان ينتقموا من هتلر فان احتلال برلين ينبغي ان يكون من طرف

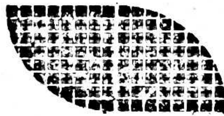
الفيلق اليهودي لا غير بحيث ان اول جيش يصل برلين يترقب وصول الهاغانا لتحتل عاصمة النازية الهتلرية ولكن بعد اخذ ورد تقرر انه لا تكون الكتيبة الداخل الوحيد ولكنها تكون احد الداخلين ·

واستمرت الحرب الى النهاية ودخل الفيلق اليهودي فعلا الى برلين وظفر اليهود بفرض منزلتهم من جديد على بريطانيا ·

واعقب انتهاء الحرب سقوط وزارة تشرشل الاتحادية وقام حزب العمال يتولى مناصب السيادة الانقليزية وكان اعتماد اليهود دائما على المحافظين اكثر من اعتمادهم على العمال · وكان بلفور محافظا لا عاملا · وكان العمال كثيرا ما يحملون مسؤولية الورطات الانجليزية في القضية اليهودية على المحافظين ·

وبمجرد قيام حرب العمال قررت المنظمات الارهابية الثلاثة تجديد العمل بصورة اشد واقسى مما كانت عليه قبلا · وبادرت المنظمات الثلاثة (باشتراك بارسال مذكرة انذارية الى حكومة العمال تعطيها اجل عشرة ايام لاصدار تصريح بريطاني يقتضي الرجوع عن الكتاب الابيض سنة (١٩٣٩) · ومضت عشرة ايام ولم تجب انقلترا عن هذا الانذار · وبعد مضي الاجل الذي ضربه اليهود لبريطانيا نزل اليهود الى العمل الارهابي وتهددوا جميع المصالح البريطانية على النحو الذي يجري الآن · كان هذا العمل اليهودي في وقت كان فيه العرب قد دخل موقفهم في طور جديد بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية ونشأ هذا الموقف عن السياسة الحكيمة التي اتبعوها وما تكون لهم من القوة الجديدة الممثلة في الجامعة العربية · وهنا وقفت انقلترا في حيرة وارتباك · فمن جهة قد كانت القوة التي اجبرتها على اصدار الكتاب الابيض مائلة على اشد مما كانت يوم وضع الكتاب · ومن جهة اخرى كانت القوة التخريبية اليهودية تفرض موقفا يبعد بالمصالح الانكليزية عن مصادقتها وذلك لا يتمثل ابدا في التمسك بالكتاب الابيض ولكنها احجمت عن هذا وذاك

وبقيت ما بين هـاتين النظريتين تترقب رجحان جانب على جانب . وبقيت في انتظارها هذا حتى وصلت بالقضية الى منتظم الامم المتحدة فتحللت من المسؤولية الرسمية واظهرت حيادها ما بين هذا وذاك . ولكن هذا الموقف المحايد لا يعتبر الا خيانة منهم للكتاب الابيض لانه يقتضي عدولها عن مقاومة فكرة التقسيم واذا كان ارضاء الجانبين مستحيلا . ولم يصل امر المسألة الى حل حاسم فغدا تاتي الكلمة المنتظرة وستكون هي الكلمة الاخيرة القاضية على وجهة النظر الانقليزي المترددة تقف بها موقفا خالدا لا ثقابسابق مجدها وما هو الا الموقف الجريء الشريف الآتي غدا لا ريب فيه ان شاء الله



لجان البحث الدولية في فلسطين وبرامجها (الحلقة - ٦ -)

حضرات الاساتذة ايها السادة

ان من دواعي الابتهاج والفخر ومما يزيدنا ثباتا وتفاؤلا في النصر ان يكون هذا التاخير الذي طرا على محاضرتنا هذه سمح لنا بان لا تنتهي محاضرتنا حتى يكون النصر ملموسا محسوسا . وحتى يكون معهد البحوث الاسلامية في استئنافه العمل بعد العيد السعيد عيد الجامعة العربية الثالث قد استانفه بين عيدبن بل اعياد متظاهرة . فلقد ازدادت عظمة عيد العروبة هذا العام بمظهر النصر الذي ظهر في جانب القضية الفلسطينية . حين اعلن رسميا في ابهاء منتظم الامم المتحدة - ان حكومة امريكا التي اشارت اولا بالتقسيم وحملت منتظم الامم ومجلس الامن ولجان البحث على رايها اعلنت رسميا رجوعها عن فكرة التقسيم وجدير بهذا الفوز المبين ان يقترن بعيد الجامعة العربية فما هو الا منها واليها اذ لم يمض على تاسيس الجامعة غير هاته السنوات الثلاث حتى اصبحت القضية الجوهرية للجامعة العربية تنجلي عن انتصار العرب وتراجع التحكم الاستبدادي امام الثبات العربي واليقين الاسلامي حتى حمل اقوى دولة على التراجع عما قررته ودعت اليه خلال شهري اكتوبر ونوفمبر سنة (١٩٤٧)

فكان من حظ هذه الحلقة الاخيرة من المحاضرات ان لا تلقى الا وجميع النفوس مطمئنة الى تمجيد القوة والشرف موقنة بان حياة الاسلام ما كانت قائمة على تصيد الفرص والمصانعة والاستجداء والخنوع بل على العزم والارادة والقوة والثبات واننا حين نلقي هاته الحلقة الاخيرة الخاصة بلجان البحث الدولية فانما

خصصها في الحقيقة للطور الاخير الذي لم نزل نعيش في اثاره الواضحة التي اغنى فيها العيان عن البيان . ولكن لهذا الحاضر اصولا قد لا تخفى عن كثيرين واطوارا يكون ارتباط بعضها ببعض محجوبا عند الكثيرين . ان سرعة الحوادث من شانها ان تحمل على شيء من الذهول يغيب معه على المتتبع ربط النتائج بالمقدمات والاسباب بالمسببات .

فها نحن الان بعد خروجنا من غمرة التقسيم والعدوان الذي اصاب القضية الاسلامية الجامعة . فاذا كان طورنا الان هو طور النصر وانتهت مواقفنا الى دفع الصائل وحمل جميع القوى على التراجع فاننا هنا نستطيع ان نحاسب انفسنا بعد الغمرة وان نفكر في الاصول والاسباب والاطوار التي مرت على القضية الفلسطينية وقد كانت قبل اليوم اذا جرت على السنتنا يكاد يوقفها الاسى والحسرة عن المضي وان مشروع التقسيم هو نتيجة انتهت اليها القضية بعد الطور الدولي العام وان دخولها هذا الطور ليعتبر بارقة النصر .

وقضية فلسطين هي كغيرها من قضايا الوصايات ابتدات اول امرها بشكل اممي بتقرير عصبة الامم ان الممالك المنفصله عن السلطنة العثمانية توضع تحت مراقبة العصبة فالادارة التي باشرت الوصاية عليها لم تكن في الحقيقة ادارة دولة خاصة ولكنها ادارة عصبة الامم وغاية ما في الامر ان تلك الدولة المختارة للوصاية الحقيقية انتدبت من طرف العصبة لتقوم مقامها في الادارة باسمها ويبتدا كذلك طور الوصاية على اعتبار ان تلك الاراضي والشعوب الموصى عليها هي اراض وشعوب لها حق الاستقلال متى توفرت فيها شروط ومؤهلات تسعى الى تحقيقه الدولة المنتدبة . وهكذا ابتكر نظام الوصايات على معنى ان مهمات النفوذ والارشاد والتوجيه لا ترجع الى دولة خاصة وانما يرجع الى مجموع الدول المشاركة في عصبة الامم .

وعلى هذه الاصول اعطي هذا الانتداب على لبنان وسوريا لفرنسا وعلى

العراق وفلسطين وشرقي الاردن لانقلترا ، ولكن هاتين القوتين المنتدبتين حين دخلت كل منهما بعنوان الوصاية جعلت كل همها في اقتطاع القضية من النظر الدولي والانزواء بها في الميدان الداخلي ، واقتفت كل واحدة منهما الاخرى في اتخاذ الاساليب لتصبح العلاقات فردية ما بين الدولة الحاكمة والشعوب المحكومة واقبلت على المغالطة في حق التفويض من العصبة حتى وقع الانتهاء الى ان هاتيك الاراضي اصبحت تحكم حكما مباشرا يقوم على اصل النفوذ الاستعماري كسائر النظم الاخرى (الحماية والاستعمار) ولقد نجحت الدولتان الى حد بعيد في اقتطاع القضية من مقامها الدولي العام واستثمار مشاكل العصبة لتقوية هذا الأقتطاع حتى اصبحت ممالك الانتداب تدار مباشرة من طرف المنتدب ولم يبق لعصبة الامم إلا الاطلاع على التقرير الذي قد يتأخر السنوات العديدة واشبهت تلك التقارير في تشابه صيغها البلاغات الحربية التي تصدر بتلك الفقرة الشهيرة ـ لاجديد في الواجهة الغربية ـ

فكان من آيات الانتصار التى اسفرت عنها الحرب العالمية الثانية ان تجد اتصال ممالك الانتدات بالمجرى الدولي العام وان تدخل في نوع من الاستغلال الجدي مع الدول في انتصارها الاخير ، كان هذا تمهيدا للانتصار النهائي واتت ثمرته اليانعة الاولى في قضية سوريا ولبنان بالمذاكرات التي جرت بين ممثلي الوطنين وبقية الدول الحليفة الاخرى وانتهت بالجلاء النهائي للقوات المحتلة للبلاد على اساس الانتداب الاممي .

وكذلك خرجت قضية فلسطين من الخصوصية الانقليزية الى الوسط المشترك بين الشعوب الحليفة المنتصرة في الحرب العالمية الثانية ، وسرعان ما تكون المنتظم الدولي العام فاتصلت به قضية فلسطين . وعلى كل حال ان في هذا الدخول لتجديدا لوضعية الانتداب الاصلي الذي قام عليه اساسه ورجوعا بهاته القضية الى

محيط اقل خفاء من محيطها السابق الفردي . ولكن هـذا العود بالقضية الفلسطينية الى المحيط الدولي الذي كان بارقة الامل في الانتصار قدكان من جهة اخرى منشأ للتعقيد والالتباس بالنسبة لخصوص هاته القضية لتصادمها مع اخطر قوة عالمية لها مفعولها في المجال الدولي العام وهي القضية اليهودية . واليهود كان لهم بجانب قضيتهم الخاصة قضية عالمية هي قضيه الاضطهاد العام الذي نال جامعات اليهود في مختلف الممالك الاروبوية بسبب الانظمة النازية والفاشية بما سبب قتل الكثير منهم حتى جاوز (٤ ملايين نسمة) . ثم ما اتصل بذلك من تشريد عدد كبير منهم اصبحوا مشردين هائمين على وجوههم في الاراضي والبحار بعد الاتفاق على وجوب تطهير اوروبا من العنصر اليهودي .

فكان المشكل اليهودي مشكلا عالميا حقا يستحق الاهتمام والاعتبار العالمي وماكان العالم الاسلامي ببعيد عن تقدير هذا المعنى الانساني بل ان مبادئه تفرض عليه ان يكون في مقدمة المهتمين به رغم ما تقدر ما لاقينا من اليهود في قضايانا الخاصة والعامة والقضايا العالمية بماكان به اليهود يعتبرون وقرا في كل قضية في الحياة ومع هذا فاننا نعتبر انفسنا في صدارة هؤلاء المهتمين بالقضية الانسانية واننا مسؤولون عن حظوظ الانسانية ونهتم بمشاكل الدنيا نتحدى العالم بان لنا من الطرق ما يشفي كل داء عالمي وكل معضلة انسانية . وبهذا الاعتبار يكون نظرنا الى المشكل اليهودي كمشكل عالمي يتطلب المؤاساة والانقاذ رغم ما عليه اليهود من نكران الجميل . ولكن الذي آلمنا وكدرنا هو ان اليهود بما في فطرتهم وادابهم من فن الالباس والتزوير استطاعوا اتخاذ هذا المشكل وسيلة الى ما هو حين البسوا قضية بقضية حتى تصبح مشكلتهم مرتبطة ارتباطا اكيدا بقضية فلسطين . وبلغ من امرهم ان انتهوا الى حد خبيث خطير وهو انهم لما استيقنوا من ان الفكر الاروبي العام (باعتبار رسوخ المسيحية والتقاليد الدينية فيه) وما يعانيه العالم من الازمات

الاقتصادية والحروب المنجرة عنها لم يكن ذلك الا من عمل الربا والشركات والبنوك التي يديرها اليهود ايقنوا بعد هذا ان عداوة اوروبا لليهود امر لا شك فيه . وانه اذا كانت بعض النظم الاوربية قد جاهرت بهذا العداء فان البقية الباقية لا تقل عداوة عنها وان اخفاءها انما هو للظروف والتحكمات الحزبية وايقنوا ايضا ان لظواهر الدساتير معاني غير ظواهر الشعور والاحساس . وازداد يقين اليهود بذلك عند ما ظهر امامهم حقد فرنسا عليهم زمن الحكم الالماني . وبمقدار خوف اليهود من احلافهم وحتى من مسلطيهم بهذا القطر فان جميع العالم كان يعتقد ان اروبا هي عدوة لهم وانما تظهره لهم من العطف والولاء ان هو الا خداع ونفاق . ولكن اليهود استثمروا عداءهم لالمانيا المشترك مع الحلفاء واستثمروا مظاهر تعذيبهم وتشريدهم ومزجوا ذلك بمضادة الاسلام للعالم الغربي فاخذوا يعملون على التخلص من هاته المحنة ويلتمسون من اوروبا ان تعينهم على هذا الخلاص وان لا سبيل الى هذا الخلاص الا انشاء الوطن القومي اليهودي بفلسطين . وتوجهوا الى الراي العام الامريكي بعد خيبتهم مع الانقليز وجاءت النازية مؤيدة لهم بافعالها وجرائمها . فاشفق عليهم الراي العام واخذ يعطف عليهم ويحن اليهم بداعيين اثنين : (١) التوغل العدائي للنازية الممثل في الارهاق والتعذيب والطرد والتشريد (٢) داعي العداء لالمانيا التي هددت السيادة السكسونية وقاومت الانتشار الشيوعي .

لاجل ذلك اصبحت دعاية اليهود متجهة الى مزج قضية مشكلة اليهود العالمية بقضية فلسطين في حين ان العرب كانوا يعملون على فصل كل من القضيتين عن الاخرى . وكان العرب يبينون وجهة النظر الاسلامية في شان قضية اللاجئين ويعلنون ان ابعد الاراضي عن فض مشكلة اليهود والعالمية هي ارض فلسطين التي تقرر منذ (١٩٣٦) حسب التقارير الفنية عدم احتمالها لاية زيادة وعلى ذلك اصبح النزاع يدور حول المحور العالمي بعد ان سار على خط ضيق ذي طرفين

واعانه على ذلك من جهة الامم العربية ان الحرب العالمية الثانية لما اثيرت وكان لهم اثر مباشر فيها واعانة الدول السكسونية فانهم اتخذوا ذلك سببا لاخراج القضية من شكلها المحصور الى الشكل الدولي العام . وقبل انتهاء الحرب العالمية انعقد المؤتمر لتكوين جامعة الدول العربية وامضى الميثاق المشهور المعروف ببروتوكل الاسكندرية شوال ٦٣ اكتوبر ٤٢ . فكان ذلك برهانا على شعور العرب بوجوب الاشتراك في كل قضية من قضاياهم وصرح فيه بان مملكة فلسطين تعتبر جزء من مجموع اجزاء الجامعة العربية وان كل دولة موقعة على بروتوكول الاسكندرية تعتبر مسؤولة عن عرب . فلسطين ومصيرهم واستقرار دولة عربية موحدة في فلسطين . وبذلك وضعت القضية وضعا دوليا اذ اصبحت تهم دولا على نسبة متساوية وكان ذلك كنتيجه استثمار لما سبق من قضية فلسطين وما يسود العلاقة التي بين الانكليز وملوك العرب مما حملها على دعوتهم فرادي وجماعات للتوسط في ذلك حتى انتهى بها الامر الى الاعتراف ضمنيا باز ارتباطها باية دولة منهم انما هو ارتباط مع جميعهم وزاد القضية قربا من السير العالمي ان العنصر القوي الجديد في الحرب وهم الامريكان ـ ارتبط مع العرب كالانقليز واكثر ويتمثل ذلك في العلاقات الاقتصادية ولاسيما في ما للشركات الامريكية المستغلة لمنابع بترول الجزيرة العربية واستثمارها وكانت شخصية الملك عبد العزيز آل سعود في هذه الحرب العالمية الثانية هي الشخصية الحقيقية الممثلة لاهم دور عربي وقع القيام به لتركيز قضية فلسطين في الميدان الدولي . وذلك ان عبد العزيز آل سعود نظرا لعلاقاته الاقتصادية مع امريكا وانقلترا اصبح لا يمكن المجازفة باعتباره ومصادقته نظرا لمقامه في العالم الاسلامي فهو الممثل لحكومة اجمع الناس على رشدها وعملها بمقتضى الاصول الاسلامية مما يناسب انتصابها على الحرمين الشريفين . ولذلك فقد كان اهتمام ابن سعود بوحدة الامم العربية والاسلامية وخصوصا مسألة فلسطين كان كل ذلك هو الذي حمل الانقليز

والامريكان على الوقوف في مضيق لا يقبل الحركة لليمين ولا للشمال فاما ارضاء ابن سعود واما عداوته وهناك تجد المانيا من قوة ابن سعود ما كانت تبحث عنه بشغف وتبذل في سبيل الظفر به الثمن الغالي .

ولاجل هذا نلاحظ ان المركز الممتاز الذي اصبحت فيه قضية فلسطين منذ دخولها الى المجال الدولي العام كان راجعا بصفة خاصة الى ما كان لشخصية ابن سعود من النفوذ والاعتبار والمركز الممتاز وابن سعود يصرح بنفسه في مذكرته للجنة البحث الدولية انه منذ ثلاث سنوات اتصل به الحلفاء ورغبوا منه ان يكون الوسيلة بينهم وبين العالم الاسلامي للدخول مع الحلفاء لتخفيف وطأة الالمان ثم جاء طور الوحدة العربية فلم يكد ينعقد بروتوكول الاسكندرية حتى ركب ابن سعود الطائرة ليلتقي مع الرئيس روزفلت عرض البحر الاحمر ويجتمع معه هناك على ظهر مدرعة حربية يناير سنة (١٩٤٥) فكان ذلك اللقاء الخالد وجرت بين الرجلين مذاكرات رسمية سجلت عند ابن سعود حرفيا وكان من آثارها ان صرح روزفلت في مكتوب رسمي لابن سعود باقتناعه بصواب نظرية العرب في شان قضية فلسطين وانه تفهم بجلاء ما افاض فيه جلالته من وجوب بيان الفصل بين قضية اليهود العالمية والقضية الفلسطينية الخاصة وانه اذا كان لليهود لزوم استقرار في ارض فان فلسطين لا يمكن ان تكون ذلك المستقر . ولقد صرح بانه قد اعلم المستر تشرشل على ما دار بينه وبين روزفلت وان تشرشل وافق مبدئيا على ذلك وعلى ما تضمنته رسالة روزفلت الرسمية مع شيء من الاحتراز واذا علمتم - ايها السادة - ان الحكومة السعودية لم تدخل في الحرب الا قبل شهر او شهرين من نهاية الحرب فان ذلك الدخول المؤخر لم يكن عبثا وانما كان بعد ان تم التحقق من حل قضية فلسطين حلا مرضيا للجانب العربي . ولكن سرعة وفاة روزفلت ادخلت القضية في طور آخر نظرا للتردد موقف خلفه ترومن في خصوص قضية فلسطين

واذا كنا نجد في مكر اليهود الذي احاط بالقضية وتاثيرهم على مؤتمن سياسة روزفلت نعمة من الأقدار الالاهية التي خبات للقضية حلا شريفا تحت ظلال السيوف . فان موت روزفلت كان على كل حال مبدأ التواء القضية الفلسطينية . ولكنه التواء حمل معه شرف الموقف ونبالة المقصد وصدق الثبات والعزيمة للممالك العربية خصوصا والعالم الاسلامي عموما .

فمن اول تبوء ترومان مقعد رئاسة الولايات المتحدة تبين اعتماده على قوة اليهود حين افتتح رئاسته بتصريح اعلن فيه عطفه على قضية اليهود وانكر ما كان صرح به روزفلت حتى انه باهت الملك ابن سعود في صدور كتاب من روزفلت اليه في شان قضية فلسطين .

وانتهت الحرب على هذا المظهر من الالتواء الجديد . ولكن شخصية ابن سعود ظهرت اخرى عندما صرح هو بنفسه انه هو الذي قام في جوان سنة (١٩٤٥) يحمل العرب على موقف الانتظار الموقت كي يترك لليهود طريق التورط في سبيل العنف الذي فصم كل ما بينهم وبين الانقليز من روابط لذلك اتصل بوجالات القضية وحملهم على الانتظار وجعل عصابات الارهاب اليهودية تقيم الدليل على ان وجودها بفلسطين وبقاء اليهود بها انما هو مهدد للامن والسلم . وبناء على ذلك فان انقلترا الشاعرة بما ينبغي ان يكون لها من الارتباط مع امريكا في وقت خرجت من الجهاد الاصغر الى الجهاد الاكبر وهو جهاد الخطر الشيوعي لم يبق لها بد من قيام سياسة التناصر .

ولكن مبادرة ترومن الى موقف يخالف موقف بريطانيا كانت حاملة على اتساع شقة الخلاف بينهما من اول ما استقر الامن في العالم . وكانت انقلترا حريصة على عدم اتساع هذا الفتق وعلى ان تسوي القضية بما لا يفضي بها الى التراجع عن التزاماتها . وعلى ذلك رأت ان احسن طريق لرتق الفتق هو تأليف لجنة

الى طريقة حل مشتركة بينهما يشتركان فيها في البحث حتى يمكن التوصل ترضيهما . وتشكلت لجنة البحث اجتمعت بنيورك ثم لندن وذهبت الى فلسطين ومصر والبلاد العربية واستمعت الى الملوك والقادة والزعماء بالقاهرة . وسافرت الى الرياض واتصلت بمن يعتبر اعظم شخصية اسلامية في هذة القضية وهو جلالة الملك عبد العزيز آل سعود وكانت تصريحات جلالته نارية حديدية متصلبة بين فيها مقدار التعدي على مقامه في هذا التضليل والتلبيس وتحدى ترومن في تصريحه بهجرة مائة الف يهودي الى فلسطين مصرحا بان شرفه لن يسمح له بالاغضاء عن هذه الاهانة وكان من تصريحاته للجنة : « لقد وقعت في مشكل خطير امام شعبي وجماعتي العرب والمسلمين فاذا ارادت بريطانيا ان تعبث بما التزمت به فليس امامي الا ان اقول للمسلمين اقتلوني او انزلوني لانني انا الجاني عليكم والمثبط لعزمكم » ومن هذا نفهم ماكان يشعر به ابن سعود من المسؤولية الادبية في هذه القضية . ولم يكن لهذا التصريح تاثير قوي على افراد لجنة البحث نظرا لانهم لم يكونوا من ذوي المراكز السياسية . ولا من المتحررين تماما عن مجاري الدعاية والتاثير اليهودي

فاصدرت لجنة البحث في افريل (١٩٤٦) قرارا مبينا على المزج والتلبيس : استهل بمقدمة بين فيها ان اللجنة لم تعالج المشكلة علاجا جوهريا لاستحالة ذلك . ولكنها اذ لم تستطع العلاج الجوهري تستطيع على كل حال بيان طريق العلاج وترى ان هذا العلاج يدور حول نقط :

١) لا يمكن تكوين دولة بفلسطين لا عربية ولا يهودية وان فلسطين ينبغي ان تبقى تحت الوصاية حتى يتم وضع الميثاق الاداري لمنتظم الامم المتحدة .

٢) لما كانت المعلومات التي تلقتها اللجنة عن مجموع ممالك العالم غير فلسطين لا تسمح بامكانية اتساع اراضي في بلاد الدنيا لقبول اليهود فانه تعين قبول اللاجئين بفلسطين بعد طردهم من اوروبا .

وهيئت لذلك طريقة تطبيقية هي تسليم مائة الف جواز لضحايا العدوان النازي توزع من شهر افريل الى نهاية عام (١٩٤٦) وان يسرع في تنفيذ هذا الامر نظرا للاضطرابات التي يتخبط فيها لاجئو اليهود .

ولقد لقي هذا القرار خيبة سياسية لانه لم يصل الى تقريب نظريتي اميركا وانقلترا اذ كان مبنيا على اعطاء جوازات السفر فكان هذا مناقضة له مع الكتاب الابيض وسببا لالغائه . وحاولت انقلترا بعد ذلك ان تلتجيء الى المفاهمات الخاصة الفردية . فدعت ملوك العرب الى العودة للنظر في القضية الفلسطينية في مؤتمر يجمع اليهم ممثلي الوكالة اليهودية . ولبت الدول العربية طلب انقلترا ورفضت الوكالة اليهودية هذا الطلب لانها تدعي تمسكها بالموقف العالمي الدولي دون الموقف الفردي الخاص . وبعد الجدال العلني في هذا المؤتمر اقدم الوزير بيفن على تقديم اقتراح يعدل من قرار لجنة البحث المشتركة . وكان الاقتراح يرمي الى جعل عدد المهاجرين اليهود لا يتجاوز (٩٦) الف عوض (١٠٠)الف وان يكون توزيع الهجرة على عامين لا على تسعة اشهر تقسط على نسبة اربعة الاف كل شهر كما يقرر انهاء الوصاية البريطانية وحل الوكالة اليهودية وجعل فلسطين تحت الوصاية الاممية مع كون المندوب الاعلى بريطانيا . وان مملكة فلسطين تقسم داخليا الى منطقتين كل منهما تمثل اغلبية لاحد الطرفين ويجري الاتصال بين هاتين المنطقتين بالوساطة الدولية والمندوب الاعلى البريطاني . وانه يمكن ان يستقل مجموع الوحدتين حكومة واحدة اذا امكن تحقيق اتحاد بين العرب واليهود بان تعذر الوصول الى هذه النتيجة فان المشكلة تعرض على منتظم الامم المتحدة ليقرر فيها قراره . ومع كون انقلترا جعلت الاحالة كتهديد للعرب واليهود فان رغبات كثيرة تعلقت باضطرار انقلترا الى الاسراع بهذا الرفع فروسيا يلذ لها ان تسجل رسميا اول اختلاف جوهري بين انقلترا وامريكا وآخرون من اعضاء المنتظم

الدولي يرضون على هذا الوضع لانه مناسبة ينبغي اغتنامها لاظهار السياسية الانقليزية في مظهر اضطراب وموقف تورك طالما ضجت على ايقان الامم بمثله من قبل وتقرر دخول القضية في ماي (١٩٤٧) وطال الخوض في هذا الموضوع بمعابر منتظم الامم المتحدة الذي وضع كثيرا من الدول في موضع الجد . وتقرر بعد طول هذا الجدال تعيين لجنة فرعية للبحث وارجاء النظر في نتائج بحثها الى جلسات خريف (١٩٤٧) ولم يكد يصدر تعيين اللجنة حتى ثار النقاش في مهمتها وماموريتها . واعتلى منصة الخطابة كل من الامير فيصل آل سعود والوزرين فارس الخوري وفاضل الجمالي . فكانت خطبهم ترمي الى جعل استقلال فلسطين تحت سيادة موحدة اساسا لاعمال اللجنة .

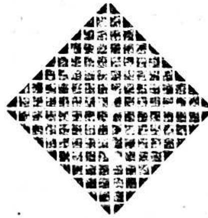
وثارت الوكالة اليهودية وسمح لها باسماع صوتها فاذا هي تعارض في فكرة الاستقلال ولا تعارض في اجراء البحث . وآل الامر الى الاقتراع وكان الانتصار لجانب اليهود وكان انتصارا لربط قضية اليهود العالمية بقضية فلسطين . واوغلت الوكالة اليهودية في عدم تعيين مهمات لجنة البحث الفرعية حتى نجحت في ان قررت لها الحرية في اجراء هذا البحث في فلسطين وغيرها ما دامت ستبحث عن مشكلة اليهود . وكان هذا انتصارا ثالث للوكالة اليهودية في منتظم الامم المتحدة .

وسافرت لجنة البحث الدولية في جوان (١٩٤٧) وقوبلت من طرف اللجنة العربية العليا باضراب عام رهيب ومقاطعة باتم معناها بحيث ان عربيا واحدا لم يتصل بهذه اللجنة ولم يسمعها رايه ؛ وعلى العكس من ذلك كان موقف المنظمات الارهابية اليهودية فانها اتصلت باللجنة واعطتها رأيها كما انها اتصلت بحكومة الانتداب واخذت رأيها ايضا . وكان تحامل اللجنة لليهود ظاهر وانما كان موقف السر محمد عبد الرحمان نائب حكومة الهند في منتظم الامم المتحدة واحد اعضاء اللجنة الفرعية موقفا كاشفا لهذا التحامل .

وعادت اللجنة الفرعية وفوجيء العالم بتصريح فاه به نائب امريكا معلنا ان حكومة امريكا ترى لزوم تقسيم فلسطين ما بين العرب واليهو على برنامج عرضه مصرحا بانه برنامج اللجنة الفرعية . وهذا التصريح وان لم يكن مرغوبا في الظاهر عند اليهود الا انهم في نفس الامر اغتبطوا له ايما اغتباط ثم ايدت الوكالة اليهودية الامر ووضع التقرير امام التصويت فنال الموافقة بثلثي الاعضاء واصبح التقسيم مقررا دوليا ولكنه غير منفذ وتطمع اللجنة الفرعية في اناطة تنفيذ قرارها بالقوة واخضاع العرب لقبوله .

وهنا ان فكرة التقسيم او غيرها من النظريات والابحاث التي ادخلت الاجانب الى فلسطين لم يبق الا على اعتماد ان العرب كانوا على حالة من خور العزم الى درجة ان ما يملى عليهم يتقبلونه باستسلام وخنوع . ولعل مظهر المقاطعة العربية للجنة الفرعية كان مجالا لسعاية اليهود لدى الدول بان العرب لو كانت لهم حجة للرد لقاموا بها وان اعراضهم ماكان الا لعدم وجود ما يتمسكون به من الحق . فكانت المغريات والدعايات لعدم الاكتراث بشان العرب وقوتهم على الرد حاملة لصدور هذا القرار المشؤوم من طرف المنتظم الدولي . ولكن القرار بمجرد ما صدر قابله العالم الاسلامي بالمظاهرات والاحتجاجات بما كان صريحا في ان الامم الاسلامية مستعدة للموت لتحول دون تنفيذ هذا القرار . ثم كان مؤتمر صوفر ومقرارته وما اشتمل عليه من دخول الجامعة العربية لصد التقسيم بقوة السلاح ان فرض التقسيم . فكان هذا مبطلا لادعاءات اليهود بضعف العرب بما جعل كل دولة تتدبر في الامر وخطورته لاسيما امريكا . وكان هذا التدبير اتيا بنتيجه اذ انه اريد التقسيم الذي لم يقبل فاما ان تتوجه قوة مشتركة لتنفيذه ولابد من وجود الروسيا في هذه القوة . اذن يتم لروسيا ما تتمناه من دخولها الى الشرق وتلك الطامة الكبرى واما يعدل عن هذا الى تاليف جيش من الامم الضعيفة لتنفيذ هذا القرار وهو امر اقرب الى الهوس ان يعتقد ان انسانا يذهب ليموت لتمكين اليهود . فبقي الامر محصورا في ان تكون الحرب ما بين العرب واليهود واذا لم يبق الا الحرب وكلمة السيف فان العرب استعدوا لموقفهم الايجابي

الذي اخذت بوادره تبدو واضحة جلية في تعيين القائد طه الهاشمي متفقدا عـاما للجيوش العربية واسماعيل صفوت باشا قائدا عاما للجيوش النظامية وتعيين البطل فوزي القاوقجي للجيوش غير النظامية . وفي هـذا التنسيق ضمـان النصر والفوز ويوم تدق ساعة الانـذار فان العرب سيظهرون للعـالم ان ابى الا ان يعطيهم حقهم بشرف السيف وشموخ الانف انه آن الاوان لتحقيق الامـل المنشود فكلمة السيف ان تكون الا لامة السيف ولله العزة ولرسوله وللمـؤمنين . اهـ .



انتهت حلقات فلسطين

المخابرة مع علي الجندوبي . صندوق البريد : رقم - ٢٠٦ - تونس